

الحرية

للنشر والتوزيع

٥٧٤٥٦٧٩ـ ٢٦١٥٦٤٦

٠١٢/٢٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

● روايات أحلامي سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

تقــدم...

«روايــات أحلامــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا

بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..

الحب حيث الورود والرياحين..

حيث الحيـاة..

وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب

والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»

فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»

على أمواج الرومانسية.



الجليـــد

مـالت جـاكلين إيفانز إلى الأمـام فى مـقعد سيـارتهـا، تحدق بانتباه أمامها، وكانت«المساحات» تروح وتجى، لا لتمسح المطر عن الزجاج، بل رذاذ الثلج الذى يتكاثف بسرعة.

لقد بدأ الثلج يتساقط وهى فى منزل والدها الكبير المطل على البحر، تتحدث إليه فى غرفة الجلوس... وزادت جاكلين من سرعة جهاز التدفئة فى السيارة.. ولكن كلمة«تتحدث» لم تكن مناسبة تماماً لما حدث بينها وبين إليوت بنتلى وراء أبواب موصدة بدقة حتى لا يسمع أى من الخدم ما يدور.. بل أن كلمة «الجدال» كانت أقرب للحقيقة. مع أن الجدل قد لا يحمل ثقل الحديث المأساوى الذى انتهى بغضب والدها الشديد، واصفرار وجهها بالرعب.

ولكن مهما وصفت ذلك الجدل، فالأمر الآن لم يعد

يهم.. ففى الوقت الذى غادرت فيه « سندريلا» منذ ساعتين ونصف.. كان الثلج يهطل بشدة، وفى ظروف عادية لما كانت قد بدأت هذه الرحلة التى قد تستغرق فى أفضل الأيام أكثر من ست ساعات.. ولكن الظرف لم يكن عادياً. ولا قوة فى الأرض يمكن أن تجعلها تبقى فى ذلك المنزل.

وها هى الآن على بعد مئة ميل من سندريلا فى وسط الوادى الذى يحاذى جبال «بنايرز».. ولطالما تزلجت على تلك السفوح هناك على بعد أميال من الطريق العام. أما الآن فقد تدفع جاكلين أى شىء تملك لتصل إلى الطريق الرئيسية وراء هذا الوادى باتجاه بلدة «درم» ثم درالنغتون لتستلم الطريق الدولية التى توصلها إلى لندن، ألى منزلها.. حيث هو باتريك..

واشتدت قبضتها دون وعى على المقود.. لم تكن تتحمل أن تفكر دوغلاس. ليس الآن فى وقت يجب أن تركز فيه على ابقاء السيارة على الطريق. والطريق هذه لم يتم جرفها منذ ساعة على الأقل، وبدأت آثار الإطارات تعمق أكثر فأكثر، والأسوء أن آثار الإطارات قد بدأت تتجلد وتصبح منزلقة.

وأخذت مؤخرة السيارة تتمايل من جهة إلى أخرى، فخفضت جاكلين ضغط قدمها عن دواسة البنزين، وما أن استقام توازن سيارتها حتى شاهدت سيارة وقد علقت فى الثلج والسائق يحاول سحب كتل الثلج من تحت إطاراتها الخلفية. تلك السيارة كانت بحجم سيارتها .فعضت على شفتها وزادت سرعة سيارتها فزعة.

قفزت عقارب الساعة فى السيارة إلى السابعة.. إنها تبعد الآن ثمانين ميلاً على الأقل من الطريق الدولية، والعتمة قد بدأت تخّيم. ولكن على الأقل لم يكن هناك رياح. والطريق الدولية ستكون سالكة، وسوف تتمكن من الوصول بسلام إلى لندن، وهى تسكن غير بعيد عنها، وبإمكانها متابعة الطريق إلى منزلها لوحدها.

واستدارت الطريق الرئيسية قليلاً إلى اليمين، وبدا من بعيد مرتفع صخرى.. ثم شاهدت جاكلين فوق بياض الثلج أضواء صفراء.. وأحست بالغبطة.. ها هى الجرافات... وأخيراً يجرى فعل شىء لتحسين وضع الطريق.. هذا رائع!

واحست بغبطتها تتلاشى بنفس السرعة التى تصاعدت فيها. فالأضواء الصفراء كانت مثبتة على سيارتى جرّ «قاطرات» متوقفة إلى جانب سيارة شحن كبيرة جانحة على جانب الطريق. ومقصورتها ملتصقة بالمرتفع الصخرى.ولو أن شاحنة بهذا الحجم أنزلقت على أية سيارة لما كان لها فرصة بالنجاة.

وتبعت الأضواء الخلفية الحمراء لسيارة أخرى، وخففت سرعتها إلى عشر كيلو مترات فى الساعة.. ولم تصل إلى منزلها بهذه السرعة.. اوه.. يا دوغلاس..

لقد قال لها والدها: المال يفعل أى شىء.. أى شىء على الإطلاق! أسوأ شىء فى وضعها الحالى هو أنها هى بنفسها سعت لهذه الزيارة لوالدها، وبمحض إرادتها، وبدوافع طيبه، فمنذ أسبوعين وما أن قرأت خبر موت شقيقها روبرت فى الصحف، حتى سارعت لحضور الجنازة وأخذت دوغلاس معها. ومع إنها لم تكن قريبة من شقيقها، الذى يكبرها بإحد عشر سنة، ونسخة ثانية من والدها.. فقد كان ذهابها إلى الجنازة لأجل والدها... أما زيارتها له اليوم، التى قامت بها لوحدها، فقد كانت

بدافع الشفقة على الرجل الصغير الحجم، والذى أخذ يتضائل حجمه أكثر، لما شاهدته من انهيار بدا عليه فى الجنازة، ولارتجاف اطرافه تحت بدلته السوداء. وتوقعت أن تقدم له بعض السلوان اليوم، والحب، ولكن الواقع أن زيارتها انقلبت إلى عكسها تماماً.

وفجأة شاهدت المزيد من الأنوار أمامها، زرقاء وحمراء هذه المرة. إنها سيارات البوليس.. حادث ما يا ترى؟

وأضاءت الأنوار الخلفية للسيارة التى أمامها، فتوقفت خلفها.. وترجلسائق السيارة وتوجه إلى سيارة البوليس.. وجلست جاكلين دون حراك.. لو أن هناك حادث.. فستتأخر.. فلماذا التوقف؟ وتركت محرك سيارتها مشتعلاً ونزلت بدورها من السيارة.. وتجنب السير فوق الثلج.. وتخطت السيارة التى أمامها لتجد رجل بوليس يقف هناك، برداءه البرتقالى.. وسمعت البوليس يقول لسائق سيارة شحن:

ـ الطريق مقفلة سيدى لقد دبرنا مكاناً مؤقتاً لبقائكم فى مدرسة قرب الطريق. ولو عدت إلى سيارتك فسيدلك زميلى إليها. شكراً لك سيدى.

وصاح السائق:

- اللعنه على هذا الإزعاج..لدى موعد هام فى نوتنغهام.

- الطريق الدولية مقفلة إلى نوتنغهام أيضاً.

- ولكن مدرسة؟ أى نوع من أماكن الراحة هذه؟

- أفضل ما وجدناه فى هذه الظروف.. بعض السيدات المحليات يحضرون الطعام لكم.. وستجد راحة أفضل فى البقاء ليلاً هناك بدلاً من..

وصاحت جاكلين:

- قضاء الليل؟

- هذا صحيح سيدتى.. فآخر تنبؤات الطقس تقول أن هطول الثلج سيستمر إلى بعد منتصف الليل، وليس لدينا ما يكفى من الجرافات لتنظيف الطريق.

- ولكننى لا استطيع البقاء ليلاً!

- اخشى أن لا يكون خيار آخر سيدتى..

دوغلاس... وأحست بنوع من الهستيريا وهى تقول:

لا استطيع!مستحيل! يجب أن أصل لندن الليلة...

ـ الطرقات كلها ليست سالكه يا سيدتى. لو سمحت، عودى إلى سيارتك كى نتمكن من تحريك السيارة...

وشاهدت وجه الشرطى الصارم على الأضواء الحمراء والزرقاء.. فأحست بجدية الموقف. وسألته يائسة:

ـ هل هناك هاتف يمكن أن استخدمه؟ يجب أن أوصل رسالة، والأمر مهم جداً!

ـ فى المدرسة سيدتى.. شرط أن تكون الخطوط لا زالت سليمة وصاح صوت من خلفها:

ـ سيدتى الشابة.. هل تسمحين بالعودة إلى سيارتك كى نستطيع الوصول إلى مكان دافىء؟

واستدارت على عقبيها وقد تملكها الغضب وصاحت:

ـ هل لك أن تهتم بشؤونك الخاصة؟

ـ عندما تؤخرين السير هكذا برمته فى وسط عاصفة ثلجية يكون لى شأن بالأمر كما كما للآخرين.

فى الضوء الأزرق كان شعره يبدو أسوداً، أما فى الأحمر فقد كان يبدو أحمراً وفى كلا الضوئين كان أكثر رجل جاذبيه شاهدته فى حياتها. ومع ذلك فلقد كرهته

لمجرد النظر إليه، وفتحت فمها لترد عليه، فسمعت الرجل من الشاحنة الصغيرة يصيح به:

- هذه ليست طريقة مؤدبة للتحدث إلى سيدة...

وصاح الشرطى:

- أرجوك عد إلى سيارتك فوراً سيدى.. واتبع بقية السيارات.

وسارع سائق الشاحنه إلى سيارته دون أن ينظر ثانية إلى جاكلين. وبدأيحرك سيارته تجاه سيارة بوليس أخرى متوقفة إلى مكان أبعد قليلاً على الطريق، ورمقت جاكليناالسائق الآخر بنظرة كراهية وتوجهت نحو سيارتها وصفقت الباب خلفها.. رجل لا يحتمل! ليس من حقه أن يتحدث إليها هكذا.. أبداً

واستدارت سيارة البوليس، وأضواؤها الدوارة لا تزال تعمل، إلى طريق فرعى جرف الثلج عنه جيداً، ووصلت القافلة بعد قليل إلى باحة، فى وسطها مدرسة عريضة البناء من طابق واحد. وأوقفت جاكلين سيارتها أمام سيارة الشحن الصغيرة، وأطفأت المحرك..

الهاتف.. يجب أن أصل إلى الهاتف، ومدت يدها إلى المقعد الخلفى لتتناول حقيبة الكتف التى استخدمتها ليلة أمس. وحملت حقيبة يدها. وانتظر رجل بوليس آخر، وصول آخر سيارة فى القافلة وصاح آمراً ولكن بلطف:

ـ هل لديكم أن تتبعونى من فضلكم.. سيداتى سادتى؟

من بين ذلك الجمع، كان هناك إمرأتان أخريتان، يرافقهما رجلان بدا إنهما زوجاهما. وكانت جاكلين المرأة الوحيدة لوحدها. واحست وهى تلحق بخمسة أو ستة إلى من المجموع إلى باب المدرسة أنها لوحدها كثيراً.

وتابع الشرطى:

ـ سيحضر مزارع بعد قليل مع شىء ساخن لتأكلوه.. وإذا رغبتم فى دفع المال له فنحن نشكركم.. هناك بعض الفرشات فى غرفة الصف الأخيرة وحرامات فى الخزائن.. ونطلب منكم عدم التدخين فى الداخل. قال أحد الزوجين المرحين أكثر:

ـ يبدو أن هذا قد حصل من قبل.

فرد الشرطى وهو يضحك:

ـ كل سنه سيدى. فهذا الجزء من الطريق ردىء.. ولن ينضم إليكم أحد، لإننا أقفلنا الطريق خلفكم عى بعد أميال .. وستتمكنون من متابعة طريقكم صباحاً، ربما عند السابعة.. وسيبقى واحد منا لأرشادكم... أية أسئلة؟

وحاولت جاكلين إبقاء صوتها هادئا:

ـ هل هناك هاتف هنا؟

هناك هاتف للإستخدام العام فى الردهة سيدتى.. اوه.. والحمامات على يمينكم من هذه الناحية.. هل هناك شىء آخر؟

وانتظر قليلاً.. ثم حياهم مبتسماً وخرج. وتولى الرجل المتزوج المرح زمام المبادرة:

ـ لماذا لا نذكر أسماءنا الأولى لبعضنا؟ أنتم ترون كيف سنقضى الليل معاً. إسمى تد وهذه زوجتى مارى.

وابتسمت مارى وهى تزرر معطفها وذكرت جاكلين أسمها ثم سائق الشاحنه الذى كان يرمقها بإعجاب، ويجب أن تتعامل معه بحزم، وكان إسمه دايفد، بينما الرجل الذى أوقف سيارته قربها تمتم بشىء وكأنه يقول

«تشارلز».. أما سائق السيارة الحمراء التى كانت خلفها، والذى ثبت أنه جذاب تحت الأضواء الثابتة كما بدا تماماً فى الخارج وكان اسمه والتر..

والتـر.. الإسم مناسب له.. إسم رجـولى مناسب... ولكن ما يهمها ما إسمه.. واعتذرت لتذهب إلى الهاتف وهى تبحث عن قطعة نقود معدنية تستخدمها.. وبصلاة شكر قصيرة لأن الهاتف لا يزال يعمل..

وأدارت القرص على الرقم المطلوب:

- آلو؟

- مارثا؟..هذا أنا.جاكلين.

- كم أنا سعيدة لسماع صوتك.. كنت قلقة عليك.. لقد وصل الثلج إلينا، وننتظر المزيد.. لماذا تكون العاصفة غير المتوقعة هى الأسوأ؟... هل أنتى بخير؟

- سـأمـضى الليل فى مـدرسـة على طريق وادى «بنايرز».. مارثا..،

- كم هذا رومانسى! أهناك رجال غرباء سُمر معكم؟

ـ لا. مارتا هل لك أن تعتنى بدوغلاس جيداً؟ لا تدعيه.

ـ كم أنتى قلقة دائماً...أنا دائمـاً أعتنى به، وكـالعـادة هو يضربنى. يقول أن عقله كعقل أمه.. ماذا قلتى؟

ـ قلت هل يمكن أن أحدثه؟

ـ ـ بالطبع .. دوغلاس.. إنها أمك.

وسمعت صوته الصغير يصيح فى السماعة:

ـ لقد ربحت خمسة مرات ومارتا مرة واحدة..

وابتلعت جاكلين ريقـها لسـمـاع صوته الحبيب.. إنه نقطة ضعفها.. الشق الذى فى درعها، وكم استغل والدها هذا بقساوة.

ـ ألا زلت على الهاتف ماما؟

ـ أجل يا حبيبى. أنا هنا... دوغـلاس لن أعـود إلى المنزل قبل الغد. أنا عالقة فى مدرسة بسبب العاصفة...

ـ لقد أعطونا فرصة نصف نهار من المدرسة، وتغديت مع كايت فوق الثلج انصنع صاروخاً.

كان دوغلاس مصمم على أن يكون رائد فضاء.

وقالت له جاكلين بعناية:

ـ دوغلاس .. لا تتكلم مع الغرباء.. ولا تقبل الركوب معهم فى السيارة... أتفعل هذا؟

ـ لقد كررت هذا لى ترليون مرة ماما.

ـ حسناً وهذه مرة أخرى .

ـ اوكى...

ـ الأمر مهم يا دوغلاس.. سأشرح لك عندما أعود إلى المنزل.

ماذا لديكم للعشاء اليوم؟

ـ مكرونة مع الصلصة..

وبدأيشرح لها عن الحلويات التى صنعتها له مارتا.. وهى تستمع له بسعادة، لم تلاحظ الرجل الذى خرج من قاعة المدرسة إلى الردهةووقف على بعد خطوات منها... وقالت لأبنها:

ـ حبيبى.. على أن أذهب الآن.. فقد يحتاج غيرى الهاتف.. أعتنى بنفسك.. وتذكر ما قلته لك.. أحبك يا دوغلاس.

ـ وأنا أيضاً.

ووضعت جاكلين السماعة مكانها، وللحظات أسندت جبهتها على الحائط البارد.. وسمعت صوتاً يقول لها:

- أود استخدام الهاتف لو سمحت.

فأجفلت فأوقعت السماعة من مكانها.. كانت تظن أنها وحدها. وعلمت من سترى أمامها، فقد عرفت صوته. وأعادت السماعة ببطء إلى مكانها، محاولة السيطرة على ارتجافها الداخلى الذى تملكها منذ حديثها مع ولدها. وكرر كلامه وقد نفذ صبره:

- الهاتف.. أرجوك.

واحمرّ وجه جاكلين وقد لاحظت إنها كانت تحدق به بشكل غير طبيعي، كما كان هو يحدق بها.. فهل لاحظ يا ترى الإثارة التى كانت تهز كل عصب من جسدها؟ وقالت له وقد ثبتت عيناها إلى عينيه:

- شكراً لك على الإنتظار.

وخطا بضع خطوات نحوها.

- لقد أثرت على.. أتعلمين هذا؟

- إنك تجعل هذا واضحاً؟

ـ أنا لست عادة فاقداً للذوق، واللطف.

ـ أنا واثقة من هذا.

ـ ليس لأنك جميلة، فلا بد أن رجالاً كثيرين قالوا لك هذا. وأنا لا يعجبني أن أكون واحداً من مجموع... تبدين، تبدين ضعيفة بعينيك الزرقاوين.. ومن حولك هالة من الضجر وأنت تستخدمين أنوثتك بذوقرفيع.. أليس كذلك؟ معظم الرجال يقعون بهذه الطريقة، دون شك... وأنا واثق أن هذه سلعة لها قيمة عندك.

واشتعل الغضب في رأسها وصاحت:

ـ هل تلمح إلى إنني أحاول لفت انتباهك؟

ـ ليس بالضرورة انتباهي.

ـ اوه.. العديد من الرجال إذن؟أكره أن أعيب نظريتك.. ولكنك بعيد جداً عن الواقع. ولمن كان مستعجلاً للحصول على الهاتف، أنتي تمضى وقتاً أكثر من اللازم للحديث مع إمرأة من الواضح أنها لا تعجبك.. فهل أنت واثق أنك أنت لا تحاول جذب أنتباهي؟

وسألها فجأة:

ومن هو دوغلاس؟

فشحب وجهها وقالت بصوت حاد كالسوط:

- وكيف عرفت بأمر دوغلاس؟

- لقد قلت لك أنك تحبينه منذ لحظات.

- اوه..بالطبع... ولكن أمر دوغلاس لا يعنيك أبداً.

- هذه تمثيلية رائعة.. الأصابع المرتجفة، الوجه الشاحب... أنت ذكية.

وبكل صدق.. وبدفق من الحيوية التى تصدر مثل هذا الصدق..

قالت جاكلين:

- أنت لا تعجبنى.. لا تعجبنى أبداً!

- إذن فلنتفق على عدم الإعجاب المتبادل.. ونبقى بعيدين عن طريق بعضنا فى الأثنى عشر ساعة القادمة.

- تبدو فكرة رائعة لى.. هذا أذكى شيء قلته حتى الآن.

وتقدم نحوها خطوات أخرى حتى أصبحت تراه بوضوح:

- إذن أنتى لا تعتقدى أننى ذكى.

وتمنت فجأة لو أن مارى أو تشارلز أو حتى دايفد، يظهر واحد منهما.. وردت عليه:

- لقد طبعت فكرتك عنى منذ اللحظة الأولى التى رأيتنى فيها أعترف بهذا! المرأة العاجزة، الشقراء البلهاء، المثالية.

فابتسم بمكر:

- لست مثالية تماماً يا عزيزتى.

ولم تدرى ماذا أغضبها أكثر، ابتسامته أم معنى كلامه. ولكنها لاحظت أن يدها لم تعد ترتجف، وأن أعصابها قد هدأت، فرغماً عن إرادته كان يسدى لها خدمة.. هذا الرجل الأسود الشعر الذى يكره الشقراوات.. وقالت له بسخرية:

- لنوضح بعض الأمور.. لقد ولدت شقراء بعينين زرقاوين. ويدل مظهرى على أننى توقفت عن النمو عند طول ١٦٥ سنتيم . ولا شىء أستطيعه حيال هذا كله.. لذا، وإذا كان لديك مشكلة حول مظهرى، فهذه مشكلتك لوحدك. وليست مشكلتى. ثانياً: أتمنى عندما تقرر أن تتفضل بلفت نظر إحدى النساء، أن تختار حمراء الشعر

أو بنية الشعر. وذلك لصالح المسكينات.. والآن ربما من الأفضل أن تجرى مخابرتك.. فلن ترغب فى إبقاءها منتظرة..أليس كذلك؟

ضحكته هذه المره كانت ضحكة إعجاب صريحة:

ـ هل قلت عاجزة؟ أسحب كلامى! أنت عاجزة كسمكة القرش.

لو أنها فكرت بوسامتهمن قبل فقد جعلتهاالإبتسامة لا يقاوم تقريباً. وهذا ما يعرفه دون شك. ولقد حان الوقت.. بل تأخر.. لتذهب من هنا.. فقالت ببرود:

ـ نحن ننحدر إلى مستوى الإهانات الطفولية..

وتجاوزته، لتمضى فى طريقها، أو على الأقل هذا ما كان فى نيتها أن تفعل.

ولكن والتر، وبسرعة لم يدركهابصرها، أمسك بكم سترتها وقال:

ـ تبادل الإهانات أمر مبهج.. ألا توافقين؟ لو إننا إلتقينا فى حفلةكوكتيل لكننا نتبادل حديثاً متمدناً، ولكنا سئمنا.

ولم تكن جاكلين واثقة أن بالإمكان السأم فى غرفة واحدة مع هذا الرجل، مع إنها لم تخبره بهذا، بل قالت:

- تبادل الإهانات سوف يصبح بائخاً بسرعة أيضاً.

ومدت يدها لتنزع يدهعن كُمها.. أصابعه كانت حارة وطرية، وقوية تمسك بسترتها بتشبث.. وبدت أصابعها ، نحيلة. وأنثوية جدا، بالمقارنه باصابعه.. وقالت بحدة:

- ارجوك.. دعنى.

- ادعك عندما اريدك.

اى ابتهاج فى تبادل الحديث تلاشى. فاستدعت كل ذرة من قوة سيطرتها على أعصابها. وقالت له:

- أمامك خياران.. إما أن تتركنى وأما أن أصرخ بأعلى صوتى.. وهذا ما سيأتى بتد وتشارلز والباقين لنجدتى، وبالتأكيد يسبب لك على الأقل بعض الإحراج.

وترك زراعها على الفور، وعيناه مثبتتان إلى وجهها.. وقال:

- بل ثلاث خيارات.. فقد كان بإمكانى منعك من الصراخ.

وأحست جاكلين بخوف حيوانى يجتاح أعصابها..

كان بإمكان والتر فعلاً أن يمنعها من الصراخ.. فتراجعت عنه وقالت بإباء.

ـ لا أريد أن أتعاطى معك بعد الآن. لذا.. .. لطفاً.. أبتعد عني.

وأبتسم:

ـ بكل سرور.

وتمنت أن تكون لها الكلمة الأخيرة. ولكنها أستدارت على عقبيها وأسرعت عائدة إلى القاعة. وكانت غرفة النساء ورائها تماماً، فدخلت إليها وأقفلت الباب خلفها، ووجدت نفسها لوحدها. وتنفست الصعداء، فبعد السابعة من صباح الغد لم تشاهد والتر ثانية، وغسلت وجهها ويدها بالصابون الجميل الرائحة ونشفتها بمحارم الورق، ثم خرجت إلى القاعة.

خلال غيابها كان تيد ورجلين آخرين قد أعدوا طاولات تجاه الجدار، وعبر الباب في نهاية القاعة كان رجلان يحملان قدراً كبيراً من الألمنيوم.فأسرعت لمساعدتهما، فطلبا منها الذهاب إلى غرفة الطعام لجلب بعض

«طاسات» الحساء والملاعق. وتجمع الجميع بعد بضع دقائق حول إحدى الطاولات يتناولون الحساء والسندويتشات. وساد القاعة جو النزهات.. وكان حساء الدجاج والخضار لذيذاً. ولم تكن جاكلين قد أكلت منذ الصباح، فأكلت بنهم، تتبادل الحديث مع مارى إلى يمينها ولاتتودد كثيراً إلى دايفد عن يسارها، بينما أخذ والتر يرمقها من الطرف الآخر للطاولة.

وأحست بالسعادة تغمرها عندما سمعت والتر يذكر أن المطارات فى كل أنحاء البلاد قد توقفت عن العمل وأقفلت بسبب الثلج.. وهذا يعنى أن يد والدها قد أصبحت الآن مغلولة ولن يستطيع فعل شىء والعاصفة مستمرة.. والشىء الثانى الذى عرفته هو أن والتر هو أيضاً فى طريقه إلى لندن.

بعد الوجبة التى التهموا فيها كومة من السندويتشات إضافة إلى ثلاثة فطائر بالزبيب، شاركت جاكلين بتنظيف الصحون بينما أحضر الرجال الفُرش ورتبوها على الأرض. ثم ابتدأت لعبة الورق.. شاركت جاكلين فيها.. وكان لها ذاكرة قوية ورحساس حسابى فى لعب الورق..

وكلا الأمرين أورثتهما لأبنها. وتحولت اللعبة إلى « البوكرُ» وازدادت كومة النقود المعدنية الصغيرة أمامها وطوال الوقت كانت تشعر بأن والتر يراقبها.. حسناً.. هذا سيريه كم إننى شقراء غبية!

وما أن حلت الساعة الحادية عشرة حتى كان الجميع فى فراشهم، يتشاركون ما وجدوا من «حرامات» واضطرت جاكلين للبقاء فى ثيابها فهى لم تأت معها بروب منزلى، وثوب نومها رقيق. واستخدمت سترتها كوسادة ولفت حزاماً رطباً حول ساقيها.. وأغمضت عينيها.. وأبعدت والدها.. دوغلاس.. ووالتر عن ذهنها.. وغطت فى النوم.

إرتجافة قلب

كان الظلام لايزال مخيماً عندما استيقظت جاكلين. ساقاها كانتا باردتان. وعنقها متصلب من قساوة سترتها. واستلقت دون حراك، تتذكر كل ما حدث فى اليوم السابق، وتتساءل عما إذا كان الثلج لايزال يهطل.

وما إذا كانت الطرق قد فتحت.

يجب أن تكون الطرق مفتوحة.. فعليها أن تصل إلى منزلها.

المال يفعل أى شيء.. فعليها أن تصل إلى منزلها..

المال يفعل أى شيء.. أى شيء على الإطلاق.

والدها يريد أخذ دوغلاس منها.

والدها رجل ثرى، ومعتاد على أن يحصل على كل رغباته.. معتاد على شراء الناس بسهولة، ولن يسمح

لابنته «ما تبقى له من أولاد، أن تجعله يفشل وعاجلاً أم آجلا سيعرف أنها تعيش فى ضواحى لندن قرب النهر فى منزل يخص إيلين وجشوا باكستر.

وعندها ماذا سيفعل يا ترى؟

سيأخذ عندها دوغلاس.. وهى تعرف إنه سيأخذه، فهو مصمم على ذلك.. فماذا بحق الله يمكنها أن تفعل؟

عليها أن تقاومه.. بكل سلاح فى متناول يدها.. ويجب عليها أن تحاول خداع اليوت بنتلى.. فدوغلاس يستحق تربية أفضل من نوع التربية التى حصلت عليها فى كنف والدها.

ولكن والدها لديه المال، وبإمكانه استئجار المحامين ليشوهوا سمعتها، وجعلها تبدو غير ملائمة لتكون أماً لطفل صغير.. وهذا أحد التهديدات التى أطلقها فى وجهها يوم أمس، بعد أن فقد أعصابه عليها.. هو يمتلك الكثير من المال، والسلطة التى يشتريها المال.. وهى لا تملك أى من الإثنين.

وأغفت لعشر دقائق، توقف خلالها تيد عن الشخير، وبدأه دايفد.. وهدرت جرافة ثلج فى الخارج.. وانتظرت

دقائق لترى ما إذا كان قد استيقظ أحد غيرها، ثم وبكل هدوء خرجت من فراشها، وسارت على قدميها المتصلبين خارج القاعة إلى الحمام، حيث غسلت وجهها بالماء البارد، وشربت بعض الماء.

وأحست بالصحو الكامل فخرجت إلى الردهة ثم إلى أبعد غرفة صف في الممر.. ودخلتها لتقف إلى أقرب نافذة لها، وجلست إلى طاولة قريبة من النافذة ولفت ركبيتها بذراعيها وأسندت رأسها وأخذت تحدق بالعتمة في الخارج.. وسمعت هدير جهاز التدفئة.. وما عدا ذلك فالدنيا كلها في الخارج.. وسمعت هدير جهاز التدفئة.. وما عدا ذلك فالدنيا كلها كانت صامتة.. وهي وحدها فيها.. لوحدها.. ولا تعرف ماذا تفعل..

وأخذت تفكر.. تحاول التفضيل بين الخيارات التي أمامها.. بالمنطق. بإمكانها البقاء حيث تسكن، منذ ثلاث سنوات، وتفترض بأن والدها لن يجرؤ على خطف حفيده الوحيد.. بإمكانها أن تستأجر محامياً وأن تشرح له القصة كلها وتترك القانون يحميها.. أو أن تترك المنزل وتختفي في مكان آمن.. ولكن.. أين؟ وكيف؟ فدوغلاس

يجب أن يذهب إلى المدرسة، وعليها هى أن تعمل، فكيف يمكن أن تختبىء؟

أضف إلى ذلك أن دوغلاس يحب العيش فى الجناح الذى يشغلانه من المنزل الكبير لآل باكستر، وهو بحاجة للإستقرار والحياه الآمنه التى بنتها له بنفسها.. فهو لا أب له...

وطاردت أفكارها أفكارها مرات ومرات.. بإمكانها مثلاً أن تنتقل للسكن فى «غلاسكو» عاصمة اسكوتلندا فتضيع هناك، ولكنها لا تستطيع تحمل مصاريف السفر والإقامة هناك. بإمكانها أن تنتقل للسكن مع مارتا وأولادها، ولكنها لا تستطيع البقاء إلى الأبد. وبإمكان والدها أن ينتظر. يمكنها أن تشترى كلباً ضخما تتركه طليقاً ليحوم حول المنزل... وأسعدتها هذه الفكرة وهى تتصور الكلب الضخم يركض مطارداً والدها. ونظرت إلى النافذة، فانعكس على زجاجها صورة شخص يدخل من خلفها.

واستدارت بحده لترى دايفد، وليس والتر، فشدت تنورتها إلى الأسفل وقالت:

ـ لقد أيقظتنى الجرافة.. ولكنى كنت عائدة للنوم.

ـ يبدو عليك وكأن هموم الدنيا على كتفيك.. وأنت لا زلت صغيرة وجميلة.. ما المشكلة هل تفتقدين لزوجك؟

يا ليت الحياة بمثل هذه البساطة.. بإمكانها أن تتدبر أمرها مع زوج غير مستقر... وقالت له ببرود:

ـ ليس لدى زوج.

ونزلت عن الطاولة. وكأن ما قالته غلطة.. فقد تمسك دايفد به وقال بإبتسامة كان يقصد أن تكون مرحة فانقلبت إلى الفظاظة:

ـ إذن بإمكانى معالجة ما يؤلمك.

ومد يده إليها وكأنها كف الدب. ولكن جاكلين كانت شابة ورشيقة الحركة، فانحنت، لتتسلل بين طاولتين، ودفعت بقدمها إحداهما بإتجاه دايفد.

ـ لست بحاجة لمعالجة كما أحببت أن تقول.. ولا لزوج... شكراً لك. ولو حاولت أن تضع يدك علىّ فسوف أحطم هذه الطاولة على رأسك!

وبصوت جريح قال:

- هذه ليست طريقة لمعاملة...

ومن على الباب سمعت جاكلين ضحكة، عميقة مجلجلة لأعجاب حقيقى وصوتاً يقول:

-أظن إنها تعنى ما تقول يا دايفد.. ولو كنت مكانك لعدت إلى النوم.

واستمرت والتر بالضحك، فتمتم دايفد بشىء بذىء، وتوجه إلى الباب.. ثم إلى الردهة.. وقال والتر:

هل هذا موعد لمنتصف الليل؟ ألم تفكرى بما قد تدفعينه؟

فردت عليه بحدة وسخرية:

إلا أننى لم أتوقع مقاطعتك لنا فى المسرحية الصغيرة الرائعة، ولابد أننى أنا من أغويته بالقدوم إلى هنا بعينى الزرقاوين.. أليس كذلك؟ فمن المستحيل أن تكون هذه غلطة الرجل.

دايفد رجل ثرى، ومترمل مؤخراً ولاشك إنه أسر لك بهذا؟

لم أعطه كثيراً من الوقت.. وصدقنى.. الثراء لن يطريه

لى.. إذن، بالإضافة لكونى عاجزة ومتسللة، فأنا أيضاً باحثة عن المال لا قلب لها؟ كم هذا خليط عجيب!

- المال شىء مفيد جداً.

بالفعل ولكنه ليس بتلك الفائدة القصوى التى تجعلنى أقبل أن يعاملنى أمثال دايفد كما يحلوا لهم.

وهل فى رأسك لعبة أكبر؟

اللعبة الوحيدة التى اتقنها هى «البوكر».

وتعلبينها بشكل رائع..

وتقدم إلى الأمام ليصبح واقفاً بينها وبين الباب، وتابع:

وجه لاعب البوكر عادة كالكليشية، ذو لون واحد.. أليس كذلك؟ وأنت دربت، نفسك على أخفاء أى مشاعر لك.. أتساءل لماذا؟

كى أبقى الرجال الحشريين أمثالك فى تخمين دائم.. ربما؟

لذلك رد على كل شىء.. أليس كذلك؟ إذن، إذا كنت لم تجذبى دايفد إلى هنا بقصد العبث.. فلماذا كنت جالسة تحدقين عبر النافذة إلى منظر لا يوحى بشىء.. عند..

الثالثة صباحاً؟ أى إنسان بضمير مرتاح كان يجب أن يكون نائماً.

وماذا فى ضميرك إذن يا والتر؟

فضحك:

لقد كشفت نفسى لهذا السؤال، ألم أفعل؟ لقد رأيتك تغادرين القاعة، ثم بعد دقائق رأيت دايفد يلحق بك.. فاحسبى الأمر مجرد فضول بسيط.

لا أظن أن أى شىء بسيط معك.

أنت ماكرة.. أتعلمين هذا؟

فتنفست عميقاً، لو أنها هى الماكرة فهو ملك الشياطين، بشعره وعينيه السوداء، وقوة وجوده وقالت له بهدوء وبرود:

أنا لست ماكرة، ولا ساعية وراء المال، ولست ضعيفة ولا متعربشة، يا والتر.. أنا إمرأة عادية.. وهذا كل شىء.

وحدق بها متفرساً:

إمرأة عادية وتبدو مرعوبة حتى أعماقها.. مم أنت

خائفة يا جاكلين؟

لست خائفة.

بل أنت خائفة. وبدوت خائفة منذ تحدثت مع البوليس يوم أمس فماذا فعلت لتكونى خائفة هكذا؟

أوه.. لابد إنه شىء فعلته، أليس كذلك؟ أهكذا يعمل دماغك؟

صـــحـيح.. ممن تهـربين؟ لماذا لا تخـبـرينى؟ ربما أستطيع مساعدتك وللحظة مجنونة كانت مستعدة لأن تصب ما فى قلبها من مشاكل أمامه.. ولأن تعرف ما إذا كان هناك طريقة يستطيع مساعدتها فيها، فهى بحاجة للمساعدة، فلن تستطيع محاربة والدها لوحدها.. وابتعلت ريقها بعوبة وقالت له بصوت متحجر:

مخيلتك تعمل أكثر من اللزوم. لقد تكدرت لأقفال الطريق ، وأنا دائما كنت أكره قيادة السيارة فى الثلج.

أنت كاذبة.

وفقدت أعصابها.. فصاحت بغضب شديد:

أجل.. أنا أكذب.. كم أنت ذكى يا والتر.. تهنئتى لك! فماذا يمكن أن تفعل؟

أفعل هذا..

وأخذها بين ذراعيه.. وقبلها.. قبلة غضب، وقصيرة لدرجة أن تكون مجرد إهانة، وجمدت للمفاجئة، فوقفت دون حراك بعد أن تركها.. فقالت أول شيء تبادر إلي ذهنها:

أنت تستعمل رائحة بعد الحلاقة التى يستعملها والدى.

ولكن ليس مثل التى يستخدمها دوغلاس؟

أوه لا.. لا.. ليس مثل دوغلاس.. أنت ودايفد طائران من نفس النوع.. وأنا لن تغرنى أى من اهتماماتكما.

فرد عليها بعد صمت طويل:

أعتذر لما فعلته.. لم يكن لدى حق لأفعل هذا.

ألم ألتق فى حياتى شخص يثير الارتباك مثلك... وهذه حقيقة.

فابتسم لها بمكر:

أصدقك.. هل يعنى هذا أن اعتذارى مقبول؟

وهل يهمك الامر؟

- لدرجة إننى أسأل.

فردت عليه ببطء:

ـ أجل.. إنه مقبول.

ـجيد..لماذا كنت خائفةكثيراً ليلة أمس جاكلين؟

بقدميها العاريتين إلا من الجوارب كانت بالتأكيد أقصر منه بكثير، لذا اضطرت لترفع نظرها إليه، ومرة أخرى ساورها ما يحثها على مشاركة الرعب الذى يعتصر قلبها كالأفعى، ومع ذلك، كانت تعلم كم من المستحيل عليها أن تقص قصتها على غريب.. فقالت صادقةك

ـ لا أستطيع إخبارك والتز. لا أستطيع.. آسفة.

ـ أنت لا تثقين بى...

ـ وكيف أستطيع؟ أنا لا أعرف.. ولقد أوضحت لى أننى لا أعجبك. وتردد للحظات، وكإنه يفكر بما يجب أن يفعله، ثم قال:

ـ أجل.. الأفضل أن تعودى إلى فراشك.. فلدى شعور بأن البوليس سيصل عند طلوع الصباح يخرجنا من هنا قبل موعد دخول المدرسة.

وأحست بالخسارة، بشكل ما.. فغداً، سيذهب هذا الأسمر الغريب فى طريقه وكذلك هى، ولن يلتقيا بعدها، فتمتمت:

ـ أعتقد إنك على حق.. أتدرى إننى لا أعرف إسمك الكامل.

ـ شيرمان..والتر شيرمان.

منذ سبع سنوات، وعندما ولد دوغلاس غيرت جاكلين إسم عائلتها إلى إسم عائلة أمها، فردت عليه بشكل رسمى:

ـ جاكلين إيفانز.

ـ آنسة؟

ولأجل دوغلاس أيضاً، أمضت حياتها كآنسة، مما ترك السؤال عن وصفها الزوجى مفتوحاً. وقالت:

ـ أنا لم أتزوج بعد. ـ لا بد أن أحداً تقدم لك.. ألم يكن أحد منهم يملك المال الكافى؟

ـ توقف عن هذا والتر.. فليس كل النساء باحثات عن الثروة.

ـ إلى الفراش آنسة إيفانز.

ـ تصبح على خير.

ووجدت نفسها تمد يدها له، فأخذها والتر، وضغط عليها ثم تركها وقال:

ـ تصبحين على خير جاكلين.

مـاء سـاخن، مـاكيـاج سـخى على الوجـه، وتمشـيط للشعر، جعل جاكلين تبدو رائعة عند الصباح، ويدعوها والتر بالجميلة! وتمنت لو إنها تستطيع التعاطى مع ألمها الداخلى بنفس السهولة التى تعاملت فيها مع وجهها..

وعادت إلى القاعة لتجمع أشياءها، فوجدت الفُرش قد أزيلت وبضع من الموجودين قد غادروا.

ولم تر أثراً لوالتر...

ولا لدايفد.

وودعتها مارى بسرعة:

-تيد مستعجل لتناول قـهوة الصباح.. لقد أمضينا وقتاً مرحاً.. أليس كذلك؟ انتبهى لنفسك الآن يا عزيزتى.

وتناولت جـاكلين سـتـرتهـا عن الأرض، وأقـفلت حقيبتها.. مفاتيح سيارتها فى يدها، وغادرت القاعة متجهة إلى الخارج.. لترى أن سيارة والتر العنابية قد ذهبت.. حتى إنه لم يودعها.

ونظرت فى عينيـها الزرقـاوين عبر المرأة الأمـامـيـة

للسيارة.. لو أن والتر لا يحب النساء، فالواقع إنها هى أيضاً لا تحب الرجال.. ولا تثق بهم.. فلماذا هى غاضبة إذن؟ وكلما أسرعت فى الوصول إلى الطريق العام ونسيت أمر والتر، كان هذا أفضل.

ووصلت إلى الطريق الدولية وسارت بين مرتفعين عاليين من الثلج يسد عليها النظر.. وأسرعت فى سيرها، وأحست بالطريق التى جرفت ورش عليها الملح.. سوف تتوقف عند مطعم لتتناول بعض القهوة والتوست. ثم ستسرع سيرها قدر ما تستطيع لتصل إلى منزلها.

أول مطعم وصلته كان مكتظاً بالسيارات، ولم تجد سيارة والتر بينها أما الثانى، والملحق به محطة وقود، فقد كان يقف أمامه شاحنة ضخمة وسيارة صغيرة.. لن تبحث بعد عن والتر، وأوقفت سيارتها بين السيارتين وخرجت منها.

القهوة.. وكعكة باللوز، مصنوعة باليد، جعلتا جاكلين تشعر بالأفضل.. وبعد نصف ساعة كانت على الطريق من جديد.. وعند التاسعة تقريباً كانت قد غادرت بلدة

«درم» وانعطفت باتجاه دورة فى الطريق الدولية لتصصل إلى طريق آخر يوصلها رأسا إلى لندن.

وامتدت الطريق، وطوت بها السيارة الأميال. وبدت لها ردة فعل ليلة أمس مبالغ فيها، وهو بالضبط ما قصده والدها.

ومرت بها شاحنة ترعد، مرسلة سيلاً من الماء القذر إلى زجاج سيارتها، وأدارت والمساحات، وأخذت تراقب الشاحنة تبتعد عنها من خلال المرأة الأمامية، واشتدت قبضتها على المقود، وترنحت السيارة قليلاً كان هناك فى الأفق بقعة حمراء، تلحق بها، والتر؟

إنها تتخيل.. فهناك العديد من السيارات العنابية.. والعديد منها قد يكون متجها نفس اتجاهها، ولا يجب أن تكون هذه لوالتر حتماً.. على كل، لقد سار أمامها منذ وقت طويل، ولابد أنه الأن قد قارب من مشارف لندن.

لماذا يا جاكلين؟ لماذا يجب عليك أن تعرفى ما إذا كانت هذه سيارة والتر؟ ومن هو والتر بالنسبة لك؟

مجرد أهتمام.. هذا كل شىء.. إنه رجل جذاب قضيت معه، بطريقة ماء الليل.

ولكنه لم يزعج نفسه بوداعك.

ونظرت ثانية فى المرأة، وشاهدت السيارة تقترب.. وبإمكانها التعرف إليها وسط ألف سيارة، إنها لوالتر.

وزادت سرعة سيارتها.. لماذا يتبع والتر هذا الطريق وهو قد قال إنه ذاهب إلى وسط لندن مباشرة ليلة أمس. وهذه الطريق توصل إلى الضواحى حيث تسكن هى.

إنه يريد رؤيتك ثانية يا جاكلين. ولهذا لم يودعك.

لات تكونى سخيفة.. لقد كبرت عن أحلام ساندريلا منذ سنوات.. وتجاوزتها سيارة زرقاء عن سارها، وتعرفت على السائق فوراً.. إنه تشارلز الذى قضى الليل معهم فى المدرسة..

وأحست برعب فجائى.. وتمسكت فجأة بالمقود.. والتر من خلفها.. وتشارلز أمامها.. لا يمكن أن تكون هذه مجرد صدفة..

إحدهما، أو كلاهما، كان يتبعها منذ أن غادرت منزل والدها بعد ظهر الأمس. إحدهما، أو كلاهما، لابد أن يكون يعمل لحساب والدها.

كم كـانت غـبـيـة! فـمن المنطقى أن يجـعلهـا والدها مـلاحـقـة.. فـهذا أوضـح شىء يمكن أن يفـعله، وأسـهل طريقةليعرف أين يسكن.. لقد كادت تقع فى الفخ..

إحدهمـا، أو كلاهمـا.. فـمن منهـمـا يا ترى اسـتـأجره والدها؟ والتر؟ أم تشـارلز؟ أم كـلاهـمـا؟ من أين لهـا أن تعرف؟ لن تستطيع أن تعرف.

ولا يمكن لها أن تثق بأى منهما.

الخدعـــة

تشارلز كان يحنى جسده باتجاه المقود وقد رفع ياقة معطفه، ربما كان قصده أن يخبىء وجهه عنها.. ربما هذا هو الدور الذى رسم له.. ولهذا لم يقم والتر بأى جهد للحاق بها، أو التحدث إليها.. فهو ليس بحاجة سوى لأن تبقى على مرمى نظره، وهو يعرف تماماً أين ستكون للساعة أو الساعتين القادمتين.

ولنفس السبب لم يودعها عند الصباح.

وأحست بالارهاق، لدرجة أنها لم تعد تستطيع السيطرة على ارتجافها، وقررت أن تتوقف عند أول محطة مسافرين تصادفها عليها تستعيد سيطرتها على أعصابها..

وأوقفت السيارة، ثم دخلت المقهى حيث طلبت فنجان قهوة، بعد أن جلست إلى إحدى الطاولات قرب النافذة..

ودخل وراءها والتر، ورفع لها يده بطريقة عرضية للتحية.. فأدارت وجهها لتنظر إلى الخارج وسمعته يقول:

– لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة، أم أنك تبقين نكدة حتى الظهر؟ ودون أن يطلب منها الاذن جلس قبالتها.

فقالت له:

والتر.. لا أريد أن أجلس معك.. أرجوك أن ترحل.

ماذا حدث بين الثالثة هذا الصباح وبين الان، لم تكوني مستعجلة للخلاص مني ساعتها.

وحدثت به بصمت، وشاهدت تفاصيل أخرى فيه غابت عنها في العتمة ويوم أمس لقد ظننته صادقاً في عدم إعجابه بها.. ولكنه لم يكن صادقاً بالمرة.. إنه التابع الأمين لوالدها. وكلاهما ازداد اقتراب المسافة بينهما، تهادت إليها رائحة عطر ما بعد الحلاقة المشابه لما يستخدمه والدها..

وقال لها:

قولي شيئاً جاكلين، فأنا أعرف أنك لازلت هاربة مذعورة.

وبجهد كبير ازدردت غضبها وقالت ببرود:

لقد ظننتك فظاً كفاية لترك المدرسة دون وداعى.. فأنا أولى اهتماما كبيراً للأخلاق الحميدة.

وتراجع والتر فى مقعده:

كنت أعلم أننى سأراك ثانية.

ونظرت إليه بعينين ضاقتا. هل سيكشف لها أوراقه بصراحة؟

وكيف عرفت ذلك؟

فابتسم ابتسامة الواثق:

أنت بحاجة للمساعدة.. وأنا لدى وقت زائد.. ولست بحاجة لأن أكون فى لندن على الفور.. لذا لحقت بك.

لم تكن ورائى عندما توقفت لتناول قهوة الصباح.

لديك أرقام سيارة خاصة بضواحى لندن، ولست بحاجة لأن أكون تحرياً لأعرف وجهتك.

لست أريد مساعدتك.

ـ زمن الفروسية

– أعلم.. ولكننى لا أحب رؤية الناس خالقون للدرجة التى.

فقاطعته بسخرية:

– زمن الفروسية قد ولى منذ قرون، وأستطيع العناية بحياتى الخاصة ولا أحتاج لمساعدة أى رجل.

وقال لها بصوت منخفض:

لماذا يحدث كلما اقتربت منك أن أشعر برغبة فى تقبيلك؟

وتذكرت مرتجفة قبلة ليلة الأمس. وبدأت الحرارة تطارد البرودة فى جسدها، فقالت بصوت مرتجف:

– إذا لم تكن تريد أن ينكسر طبق فيه نصف بيضة مقلية فوق رأسك، عليك أن تبتعد عنى.

لم أقل أننى سأقبلك. قلت أننى أرغب فى ذلك.. وما أريد معرفته هو لماذا أنت من تثيرنى.. فأنا حتى لا أحب الشقراوات.

أنت لا تحب النساء!

معك حق فى هذا! فلماذا أنت إذن؟

وكادت أن تقول: «لأن والدى ثرى» ولكنها تراجعت ثم قالت:

أنت لست قبيح المنظر، والتر، وعلى الرغم من الحركة النسائية، فهناك العديد من النساء يظنن أن الرجل يجلب لهن كل مشاكلهن.. وأظن أنك لست معتاداً على النساء اللواتى لا يقعن مغشياً عليهن لنظرة منك.. وأعترف أننى أجد تقنياتك مع النساء مثيرة للاهتمام.

وابتسمت ببرود.. واستطاعت أن تلاحظ أن ما قالته لم يعجبه.. ولو أن النظرات تقتل، لكانت الان مستقلية على ظهرها مضرجة بدمها، فقال لها بسخرية:

– أعطنى الفرصة.. فأنا واثق أن بإمكانى تغيير رأيك بالنسبة.. لتقنياتى.

لم أضيع أى وقت على هذا.

أدركت الآن أن الكلام ليلة أمس كان كثيراً ودون أفعال.

ووقف عن كرسيه بحيث أصبح فوقها، واضطرت إلى إرجاع رأسها إلى الخلف لتنظر إليه.. ولاحظت الغضب الصارم يبرق فى عينيه.

لن أكرر غلطة الأمس.

ليس معى على كل الأحوال.

وابتسمت له إبتسامة تدفع للدوار، فقد مر فى ذهنها على التو طريقة للتخلص منه ومن تشارلى، الذى لم يكن باديا، فى نفس الوقت، إنها خطة بسيطة، ولبساطتها كانت واثقة من نجاحها.

وقال لها بخشونة:

أنت لم تشاهدينى بعد لآخر مرة جاكلين.

ثم استدار على عقبيه وغادر المقهى.

وأنهت قهوتها ثم أخذت تحدق بالخارج.. فشاهدت سيارة تشارلى وهو جالس فيها وعيناه مغمضتين.. والتر من جهة وتشارلز من جهة.. كم تكرههما معاً. ووقفت عن كرسيها متجهة نحو الهاتف متمنية أن يكون جارها بيتر فى منزله، وطلبت رقمه.. وصاح بيتر:

مرحبا.. من هناك؟

أنا جاكلين.. بيتر هل لك أن تسدى لى خدمة..

ومن طرق عينها شاهدت والتر يقف عند زاوية المحطة، دون محاولة إخفاء وجوده، فكررت:

بيتر، أريد خدمة منك، ولا أستطيع شرح الأمر لك الآن، ولكن هناك سياراتان تلاحقانى إحداهما عنابية والأخرى زرقاء.. أرجوك أن تنتظر مرورى بمزرعتك بعد عشر دقائق وأخرج «التراكتور» واقفل الطريق مدعياً إنه تعطل وكلما تأخرت كان هذا أفضل.

فضحك بيتر بدهشة:

لقد كنت تشاهدين الكثير من الأفلام على التليفزيون يا فتاة! سأفعل ما تريدين.. وسيكون هذا راحة لى من العمل فى مخزن الغلال أيكفيك عشر دقائق تأخير؟

أكثر من اللازم، باركك الله يا بيتر، سأشرح لك الأمر فيما بعد..

أجل.. واجلبى معك الصغير فالكلية لديها جروان الآن وأنا متأكد أن هذا سعجبه.

شكراً لك، على الذهاب الآن.

وعادت إلى سيارتها، وخرجت نحو زحام الطريق، وعلى بعد قليل منها شاهدت السيارة الزرقاء.. ألا يكفيها مواجهة والتر ليضاف إليه تشارلز؟

وانعطفت بسيارتها عن الطريق الرئيسية نحو طريق فرعية توصل إلى البلدة التى تسكنها .. ونظرت إلى المرآة لتجد أن والتر على بعد أربع سيارات منها وتشارلز على بعد ثلاثة منه، وبحذر أخذت توسع المسافة بينها وبينهما دون لفت النظر. وبدا والتر راضياً عن هذه المسافة ... وتشارلز بالطبع سيلحق به.

وتفحصت ساعتها .. بعد خمس دقائق ستصل إلى الحقول الممتدة على كلا جانبى الطريق والتى هى ملك لعائلة بيتر منذ مئتى سنة.

وما أن لاحت للنظر حتى شاهدت «تراكتور» يجر وراءه آلة حرث طويلة تقف إلى جانب الطريق. وداست على دواسة السرعةحتى الحديد. ومرت عن بيتر ملوحة له، ولوح لها بيتر.. وقطع الطريق بالتراكتوروتوقف. وكان التراكتور تقريباً عند حافة الطريق الأخرى بينما آلة الحرث كانت على الطرف الآخر. ولوحت له جاكلين ثانية، يجب عليها أن تستفيد من هذا إلى أقصى حد.

وبقيت على نفس الطريق عند وصولها إلى أولى المفارق.. ولكن عند المفترق الثانى، وبعد أن تحققت أن

أحداً لن يتبعها.. استدارت إلى اليسار. ثم أخذت تسير يميناً ويساراً عند كل منعطف.. مبقية اتجاهاً نحو الشمال الغربى للمدينة، وهى تنظر عبر المرآه متوترة عند كل منعطف... ومع وجود بعض السيارات ورائها إلا أنها لم تعد تشاهد لا سيارة والتر ولا سيارة تشارلز .

لقد ربحت وبمساعدة بيتر خدعتهما معاً. وهزمت والدها جيداً.. على الأقل مؤقتاً.

وبدأت أعصابها تسترخى.. وعادت إلى الإتجاه جنوبياً، باتجاه النهر. لقد كانت هذه أكثر طريق استدارة قطعتها لتصل إلى منزلها..

وتسلقت تلاً صغيراً لتشرف من أعلاه على منظر الوادى الفسيح الذى يحيط بنهر النايمس.. إنه نهر يقسم لندن وضواحيها إلى قسمين.. وستكون قريباً فى منزلها.

منذ ثمانية سنوات، حامل فى شهرها الثالث، هربت من ظلم والدها، اليوت بنتلى، ومن كل ما يمثله.. واستقرت فى هذه الضاحية حيث تفصل بينها وبينه الأميال الكثيرة. وأعالت نفسها من المال الذى تركته لها أمها، وولدت ابنها. ثم بدأت صداقات جديدة.

وعندما بلغ دوغلاس الثانية، بدأت تتعلم تصميم الملابس، وعندما إنتهت أموال والدتها عملت فى محل للأزياء خلال فترات الشتاء ومنذ ثلاث سنوات وبمساعدة مارتا وأوليفر برادشو، التقت بالعجوزين إيلين وجوشوا باكستر، الذين يقضيان الصيف هنا وما تبقى من السمة مع أولادهما فى أوستراليا.. وكانا يبحثان عمن يعتنى بالبيت فى غيابهما، وبالحدائق ومشتل الزهور، ولم يكن هناك شيء يناسبها اكثر من هذا فجناح واحد من المنزل يكفيها وابنها وبإمكانها العناية بالمشتل والحدائق والاستمرار فى الاحتفاظ بوظيفتها فى محل الأزياء.

وأوقفت سيارتها فى الكراج وأقفلت بابه، وهى تقسم بينها وبين نفسها أن لا تترك المكان هنا أبداً، المكان الذى أحبته منذ أن رأته.

ودخلت المنزل السرعة.. ثم أدارت التدفئة المركزية كى تتخلص من الهواء البارد.. وتوجهت فورا إلى الهاتف.. ستتصل بمدرسة دوغلاس ليوصلوه رأساً إلى المنزل بدل منزل مارتا.. ثم ستتصل بمارتا..

بعد ساعتين توقف الباص الأصفر على الطريق ونزل

منه دوغلاس.. فراقبته جاكلين يركض نحو المنزل، وسترته مفتوحة.. وحذائه غير مربوط.. فأحسست بقلبها يخفق بحب قديم أصبحت معتادة عليه..

لو اضطرت لأن تعمل فلاحة فى المزارع لتجنب ابنها ما عانته فى طفولتها فستفعل.. ودوغلاس يغنيها بوجوده عن التقرب من الكبار.. فوالده ضحك عليها بعد أن عرف أنها حامل.. ووالدها طالبها بالإجهاض.. من أجل ما دعاه شرف العائلة.. وهو حتى الان غاضب منها.

وهربت يومها من كليهما.. وعرفت لماذا هربت عندما حملت اللفة التى تحتوى تلك الكتلة الحمراء من لحم ودم، ابنها، بين ذراعيها.

وعصف دوغلاس بالباب ودخل ليخلع حذاءه:

كايت وبيت ذاهبان للتزلج عند التلال.. هل أستطيع الذهاب معهما؟

وانحنت لتعانقه، وهى تعلم إنه اليوم سيكون فى أمان من تشارلز ووالتر، تتساءل كيف ستتمكن فى المستقبل أن تتعاطى مع مسائل كهذه.

وقالت:

أتمنى لو أنك تربط حذائك يا دوغلاس، فأنا أخاف دائماً أن تتعثر بالشرائط.

صعب أن أخلعهما عندما يكونان مربوطان.. هل أستطيع الذهاب؟

أجل.. أتريد كوب حليب قبل ذهابك؟ كيف حال المدرسة اليوم؟

حصلت على مئة على مئة فى الحساب.

واللغة؟

خمسة وسبعون كان اختباراً سخيفاً.

لو كنت تريد أن تصبح رائد فضاء فعليك أن تعرف كيفية كتابة التقارير.. بعد الغداء سنراجع الاختبار ألبس بذلة التزلج وهناك قفازات فوق المدفأة.

واستفاقت فى اليوم التالى وهى تشعر بنفس إحساس الأمان الذى أحستـه بالأمس.. بعد القهوة.. وتوديع دوغلاس إلى مدرسته. فكرت أن أمامها عمل فى زراعة بعض البذور فى غرفة الشتول.. وهل هناك أفضل من

هذا اليوم البارد من أيام شباط؟

وكانت على وشك الانتهاء من زرع آخر بذرة، لتتوقف لشرب القهوة ثانية عندما لفت نظرها حركة عند النافذة. رجل كان يقف فى الخارج فوق الثلج ينظر إليها عبر النافذة.. ووضعت من يدها كيس التربة الاصطناعية الكبير.. وحدقت: إنه رجل طويل يرتدى سترة جلدية وشعره وعيناه سوداء.. إنه والتر.

وللحظات لم تكن قادرة لا على التنفس ولا على الحركة.. لابد أنها تتخيل.. ولكن عندما أغمضت عيناها وفتحتهما كان لايزال هناك يحدق بها.. رجل أسود مقابل الثلج الأبيض.

لقد أتى والتر ليأخذ دوغلاس.. من المكان الوحيد الذى كانت تظنه أمناً.

وأشار لها والتر بيده إلى المنزل.. وفهمت إنه رن جرس باب المنزل.. هو من بين كل الناس، رن جرس باب المنزل وكأنه زائر عادى فى زيارة عمل عادية، وابتلعت رغبة فى ضحكات هستيرية ولكنها بدلاً عن ذلك أخذت

تركض عبر باب المشتل ودخلت المنزل وأقفلت الباب وراءها ثم وقفت تستند إليه من الداخل.. ثم ماذا؟ الأمان الذى أقنعت نفسها به خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية كان وهماً.. زيف خطير.. فالثعلب قد اشتم طريق فريسته.. وما ستفعله الآن لم يعد مهماً.

ورن جرس الباب

وقفز قلبها بشكل مبالغ وتقدمت نحو الباب وصاحت:

إذهب من هنا والتر! أو سأتصل بالشرطة.

لن أذهب من هنا قبل أن أتحدث إليك، لذا من الأفضل أن تدعينى أدخل.

عد إلى والدى وقل له أننى لا أريد أى شيء يربطنى به لا الآن ولا إلى الأبد. ودغلاوس هو ولدى.. وليس...

أنا لا أعمل لوالدك! تشارلز هو من يعمل له. أما أنا فلا.. أدخلينى .. أو سأحطم الباب.

أنت وتشارلز كلاكما تقبضان منه! ولست أدرى من منكما أكره أكثر ولن أدع والدى يضع يداه على دوغلاس.. هل تسمع؟

أنت مخطئة! أنا لست هنا لآخذ دوغلاس.. ولم أقابل والدك..

أوه.. بالتأكيد يا والتر.. ولكنك مخطيء.. لم أعد أصدق القصص الكاذبة.

وساد صمت مشحون ثم قال والتر:

سأعد للعشرة يا جاكلين.. فإذا لم تفتحي.. سأدخل بالقوة.

الباب من خشب السنديان القوى، وله قفل متين جداً.. وكما الفأرة تتسمر أمام نظره القط، وقفت جاكلين مسمرة وعينيها على الباب جزء من عقلها يصرخ بها أن تتصل بالشرطة، والجزء الاخر يقول إنه لا يعنى ما يقوله. ثم سمعت أصوات خربشة من الجانب الاخر للباب، وأمام رعبها بدأت الأكرة تستدير.

والتفتت وراءها.. هناك باب خلفى عند نهاية الردهة عبر حائط القبو يقود إلى الحديقة الخلفية.. لو إنها فقط تعود إلى الخارج فقد تتمكن من الخلاص، فهى تعرف المنطقة كظهر يدها كل شجرة.. كل زقاق.. كل شجرة شائكة، وكل وتد فى الأرض.

وفتح الباب الأمامى، وبصرخة رعب رمت نفسها فوق

السلم والظلام إلى القبو.. وتذكرت أن آخر ثلاث سلمات خشبية كانت ناقصة وهى تعرف مكانها.. ولكن والتر لا يعرف.

وقـفـزت عنهـا إلى الأرض. وركـضت نحـو البـاب الخلفى.. وبرعب شديد سمعت والتر ينزل السلم خلفها.. وأمسكت أكره الباب.. وأصغت.. وصرخ والتر بما يشبه الشخير وبدهشة وخوف، وقدمه تسعى لتصل إلى شيء تستند إليه.. ثم صاح صيحة ألم وعبر العتمة شاهدته يقع، وسمعت صوتاً مريعاً لاصطدام رأسه بالعمود الذى يسند سقف القبو.. وهبط جسده إلى الأرض.

وفى الصـمت المخـيف كـانت تسـمع فـقط صـوت تنفـسـهـا.. وعلى الرغم من الرعب الذى أحست به وهى تنزل السلم درجـتـين، إلا أن ذلك لم يكن يذكر أمام رعبها الان.. لقد قتلته..! هى جاكلين ايفانز التى لم تكن تعرف معنى العنف فى حياتها.. مسئولة عن موت رجل!

وتقدمت ببطء منه.. ثم ركعت بقربه ووضعت أصابعها على رسغ حيث النبض.. وكتمت أنفاسها ثم وقفت وهى تكاد تختنق بشـهـقـة ذهول.. إنه حى.. يجب أن تتـصل بالبوليس الآن.

وبدا ضابط البوليس هادئاً على الهاتف، وكأنه معتاد على تلقى الأخبار يومياً عن وجود رجال فاقدى الوعى فى أقبية منازل الناس وأكد لها أن سيارة دورية وسيارة إسعاف ستصل عندها خلال عشر دقائق. وأقفل الخط واضاءت النور فى القبو ونزلت ببطء إلى الأسفل.

وجلست على عقبيها أمامه، تتمنى أن يتحرك، أن يصل البوليس.. يحدث أى شىء يخلصها من انقباض مشاعرها التى ظنت أنها ستستمر معها إلى الأبد.

ورن جرس الباب فوق، وتسلقت السلم متعثرة، وفتحت الباب لتجد سيارة البوليس متوقفة أمام المنزل وسيارة إسعاف تتبعها من بعيد.. ورجلا شابان يقفان مرتديان الثياب العسكرية الرسمية.. وقادتهما إلى الداخل، وقدمت نفسها ثم قالت:

- إنه تحت.. الدرجات الأخيرة للسلم الخشبى مفقودة.. ووقع لقد اقتحم على الباب.

ونظر أحد الشرطيين إلى القفل وقال:

عمل محترف.. لنلقى نظرة.

وأسرع الشرطى بتفتيش جيوب والتر، وأخرج محفظة جلدية.. بحث فى البطاقات داخلها، وأطلق صفرة صغيرة.

حسناً يا سيدتى.. لقد قبضت على شخص مهم.

ما.. ماذا تعنى؟

هل والتر مجرم؟ هل له صحيفة سوابق؟.. لا.. ليس والتر.. أرجوك.. لا ليس والتر.. وقال الشرطى:

هذا الرجل هو ضابط ذو رتبة كبيرة من البوليس الدولى.

وفغرت جاكلين فمها:

أتعنى إنه بوليس؟

بالتأكيد.. ولكن لماذا اقتحم عليك بيتك؟

لخطف ابنى..

ولراحتها، شاهدت ممرضاً ينزل السلم وبيده محفة.. ولكن لو أن والتر رجل بوليس.. فلا يمكن أن يكون والدها قد استأجره.. أليس كذلك؟ وتفحص الممرض والتر، فسألته:

كيف حاله؟

فاقد الوعى.. ولكن لا شىء خطير.. ومع ذلك يجب

تصـويره بالأشـعـة.. أتريدين المجيء مـعنا فى سـيـارة الأسعاف يا آنسة؟

فقال ضابط البوليس:

سنأخذها معى.. بعد أن تجيب على بعض الأسئلة.

بعد أن سردت ببطء ما حصل معها خلال الثلاثة أيام الماضية، أقفل رجل البوليس دفتر ملاحظاته متعجباً.. وكأنه لم يصدقها، وقال:

سوف نتأكد من هوية السيد شيرمان، ثم نعود إليك آنسة إيفانز.. هل آخذك إلى المستشفى؟

أرجوك.

وانتظرت فى المستشفى إلى أن وضع والتر فى غرفة خاصة وقال لها الطبيب:

إنه هنا للمراقبة الطبية.. ولا يجب أن تبقى عنده كثيراً.

كان ولتر مستلقياً على ظهره، وجهه شاحب أبيض كبياض الشراشف، وعيناه مغمضتان.. وكأنها منومة تنظر إلى ما تفعله إمرأة أخرى.. لحق نظرها بأصابعها إلى أن وصلت بنعومة إلى خده ثم تحركت نحو شعره.

وفتح عينيه، محدقاً مباشرة إلى عينيها، وبسرعة أمسك بمعصمها بأصابع باردة كالأصفاد.

ماذا تفعلين؟

لـ.. لست أدرى.

أتحاولين القضاء على؟ بعد أن فشلت لعبتك الذكية على السلم؟

بالطبع لا.! كنت خائفة من أن أكون قتلك.

صحيح؟

ومد يده الأخيرة ليعبث بخصلة من شعرها قرب خدها.

ألعن اليوم الذى نعتك به بالغباء فأنت بغباء الأفعى السامة ومميتة بنفس القدر.

جاكلين كانت مستعدة لتعتذر له عما فعلته به، ولكنها ليست مستعدة لأن تتركه يتكبر عليها فقالت:

حاول أن تنظر إلى ما حدث من وجهة نظرى والتر شيرمان رجل حجمه ضعفى حجمي يلاحقني ليومين ويقتحم على المنزل أتظن أنه كان على أن أبتسم له

وأصنع له فنجان شاى وأسلمه ابنى؟ هذا مستحيل..

فصاح بها:

ولكننى لا أريد أبنك! ألا أدخلت هذا إلى رأسك؟

إذن ماذا تريد بحق الجحيم؟

ودخلت الممرضة من الباب بسرعة على صوتهما وقالت جاكلين:

يجب أن أطلب منك الرحيل! فالمريض يجب أن لا يثور أبداً.

فابتسم والتر للممرضة ابتسامة تذيب القلوب وقال:

كانت غلطتى.. أتسمحى لها بالبقاء لدقائق فقد لو وعدتك أن لا أثور ثانية؟

حسن جداً.. خمس دقائق فقط.

وتنهدت جاكلين:

يا إلهى.. أنت بالتأكيد تعرف كيف تستخدم سحرك أليس كذلك؟ فلماذا لم تحاول هذا معى؟

وترك يدها، وأخذ يفرك لها معصمها بطريقة لم تستطع تجاهلها ثم قال:

وجنتـاك بلون قـمـيـصك الزهرى.. أهو قـمـيص ابنك؟ لايبدو مناسباً للكبار.

واشتد احمرار وجهها.

وجدوك تنزف على الأرض، وتبدو كالميت.. والبوليس، والأسعاف، لم يتبادر لذهنى أن أغير ملابسى.

أنا سعيد لهذا.

وأفلتت يدها من يده برقـة، ثم لفت سـتـرتهـا على جسدها، وقالت أول شىء تبادر إلى ذهنها:

هل أنت حقـاً رجل بوليس؟ ضـابط برتبـة كـبيرة من البوليس الدولى؟

أجل.. لقـد كنت خـارج انكلتـرا لآخـر أربع سنوات.. والسلطات فى لندن لم تفكر بعـد مـا تفعله بى.. لذا لدى الوقت الكافى.

صـحـيح أن والدها يملك المال والسلطة، إلا أنه لن يجرؤ على رشوة قوى البوليس. وقالت له:

إذن أنت لا تقبض مالاً من والدى؟

لا.. أرتبت فيكما معاً.. ولذا استخدمت آلة الحراثة.

آه.. أجل.. كان هذا تعريفاً لى على آلة الحراثة فى أوج عملها المثمر وكانت أحد الأسباب التى دفعتنى إلى بابك اليوم.. أستحق الطرد من وظيفتى لوقوعى فى فخ السلم دون حيطة.

وما هى الأسباب الأخرى لاقتحامك منزلى؟

ألم تخمنى بعد؟

وتحرك بسرعة، ممسكاً إياها من كوعيها، مما أفقدها توازنها فوقعت على صدره.. وقبلها.

وسمعت جاكلين صوت الممرضة تصيح:

حقا! إنه أمر شائن!

ورفع والتر رأسه وترك جاكلين، التى ترنحت قليلاً لتقف على قدميهما قرب السرير.. ولو أن خداها كانا زهريين من قبل فقد أصبحا أحمرين قرمزيين لامعين الآن.. وتمتمت:

أنا آسفة حقاً يا آنسة.. كان يقبلنى قبلة الوداع، لأنه

لن يرانى ثانية.

هه.. السيد يعانى من حادثة ومن صميم عملى أن أتركه يرتاح وهذا ما يهمنى.. وكما توقعت... كان سريعاً ولن أسمح بزيارات لك اليوم.

وقالت جاكلين، التى لم تحس بمثل هذا الابتهاج منذ أشهر:

وداعاً والتر... جميل أن أعرفك.. ولكن أقترح عليك أن تنظر أين تضع قدمك فى المرة القادمة.

وغمزت له، وتسللت خارجة.. ثم ذهبت إلى منزلها.

بداية حب

على الرغم من توديع جاكلين لوالتر، فقد كانت متأكدة أنها ستراه ثانية.. بل أنها أدركت عندما دخلت المنزل أنها ستتكدر كثيراً إذا لم تره ثانية.. وفسرى هذا اللغز لنفسك يا جاكلين!

والتر، والذى تعرف الآن أنها التقتة بمحض الصدفة وليس بتصميم من أبيها، يمكن أن يغير مجرى حياتها. لقد كان فظاً معها.. ولاحقها عبر ستة ساعات فى طقس مثلج، وبحث عنها ليومين كاملين، ثم أخافها حتى الموت.. ومع ذلك فعندما عانقها، اخترق كل دفاعاتها. حتى أنها لم تحاول أن تقاوم.

ولكن هذا التغيير موجود فى عقلها فقط، وأحست بالخوف.

وبدأت تحضر صينية بطاطا مسلوقة مع اللحم فى

الفرن. وهذا العمل البسيط أراح أعصابها.. وبعد العشاء ستذهب إلى مارتا واوليفر لطلب النصيحة.. ولا مانع من تأخر دوغلاس عن موعد نومه لأن الغد هو يوم سبت.

وهكذا وصلت عند السادسة والنصف مساء إلى منزل مارتا واوليفر برادشو.. وأخذ بيت وكايت دوغلاس إلى غرفة الألعاب رأساً ليلعبوا بالكومبيوتر.. وجلس الراشدون الثلاثة فى غرفة الجلوس المريحة بمدفأتها التى تعمل على الحطب.. وسجادها السميك وصنع لها اوليفر شراباً ساخناً لمقاومة البرد، فشرعت جاكلين تقص تفاصيل أحداث الثلاثة أيام الأخيرة، ولم تترك شيئا سوى قبلات والتر لها.. وتنهدت مارتا بعد انتهاء جاكلين من كلامها وقالت:

كم هذا رومانسي.. وعلق أوليفر:

لست أرى فى جرار الحراثة أمر رومانسي.. هل غازلك يا جاكلين؟

لم أترك له الفرصة.

لا يبدو لى إنه من النوع الذى تمنعه الفرص.. وهل

تظنى إنه سيأتى إلى منزلك فى الغد؟

ربما. إذا كنت تعتقدى أن والدك نصف جاد، عليك أن تسمحى لوالتر بالدخول مشكلة والدك أن هناك الكثير ممن يخافون من نفوذه.. بما فيهم أنت.

أنا محقة فى خوفى منه يا أوليفر، فأنا أعرفه أكثر منك.

أنت فى السابعة والعشرين الآن، ولم تعودى صغيرة، وحان الوقت لأن تواجهيه.. إستأجرى أوليفر كحارس شخصى لك.. وهذا الأمر سيوفر لك العديد من الفرص.

فأجابته جاكلين: أنت لا تساعدنى بهذا القول.

أوكى.. هاتى ورقة وقلماً يا مارتا ولنسجل ما نستطيع فعله. عندما غادرت منزلهما بعد ساعتين كانت تحمل لائحة مكتوبة من الاقتراحات المفيدة، وأول ما أعطاه أوليفر الأولوية هو أن تخبر دوغلاس بكل شىء.. غداً السبت، وستخبره فى الغد.

وما وصلت السيارة بها إلى المنزل، حتى وجدت سيارة عنابية تقف بالقرب منه، وكشفت لها الاضواء الأمامية لسيارتها أن والتر كان خلف المقود.

وبقدر ما كانت لا تتوقع رؤيته بهذه السرعة، بقدر ما أحست بخليط من المشاعر لا يمكن أن تصفها إلا بالغبطة لقد عاد.. ولم يقبل بوداعها له.. وقالت لدوغلاس بصراحة:

هذا الرجل التقيته عندما علقت فى المدرسة بسبب الثلج.. إسمه والتر شيرمان وهو شرطى.. فلنذهب ونرى ماذا يريد.

وكانت تعرف بالضبط ماذا يريد، ولكنها أبعدت تفكيرها عنه وتقدمت نحو سيارته.. فنزل منها وقال متذمراً:

كنت أنتظرك منذ أكثر من ساعة.

من الأفضل أن ندخل.. هذا ولدى دوغلاس.

ومد دوغلاس يده ليصافح والتر وهو ينظر إلى الرباط الأبيض:

ماذا حدث لرأسك؟ لقد وقعت عن السلم.

وصافح يد دوغلاس.. فقال هذا:

لدينا ثلاثة درجات مهترئات من سلم قبونا. فالأفضل أن تحذرها صحيح يجب على هذا.

وأقفلت جاكلين الباب وقالت لدوغلاس:

هيا إصعد إلى فوق ونظف أسنانك سأكون معك بعد دقائق لأتمنى لك ليلة سعيدة.

والتفت دوغلاس إلى والتر:

هل ساعدت أمى عندما علقت بالثلج؟ ألانك رجل بوليس؟

فتدخلت جاكلين:

أجل.. لقد ساعدنى.. والآن إذهب إلى غرفتك.

وأسرع دوغلاس يصعد السلم درجتين معاً. والتفت والتر إلى جاكلين:

لقد أمضيت جزءاً كبيراً من حياتى المهنية فى تقييم الناس.. وكانت حياتى أحياناً تتعلق بهذا التقييم.. ولكن أنت جـــاكلين.. ليس لدى أى فكرة عنك.. كل تدريبى وخبرتى تطير من النافذة عندما أكون على بعد خمسة عشر متراً منك.

ولم يبدو ودوداً، فتلاشت ابتسامتها، وأشارت إلى باب غرفة الجلوس:

الأفضل أن تجلس قبل أن تقع.. وكرجل بوليس كان عليك أن لا تقود سيارتك وأنت بهذه الحالة.

وتقدمها إلى غرفة الجلوس، وهو يقول بنفاذ صبر:

أنا بخير. إجلس:

وغرق والتر فى أقرب كرسى له.. فقالت له بقساوة:

أعتقد أنك احجزت غرفة فى الفندق؟

فقال وعلى وجهه شبح إبتسامة:

لا.. لقد جئت إلى هنا لأحميك.

وابتسمت لنفسها ساخرة، كم سيكون اوليفر مسروراً من تقييمه الصحيح.

وقالت له:

إذن أنت تنوى أن تسكن هنا؟ وهل كنت تنوى طلب الأذن أم أن هذا غير وارد فى قاموسك؟

وقال لها بصراحة:

استطيع التعرف إلى الخوف عندما أراه.. وأنت إمرأة مرعوبة

ولا يعجبنى ما تفعلينه بوالدك، ولكننى لا أحب تشارلز. لذا فأنت ملزمة بى فى الوقت الحاضر. إلى أن

أعرف ماذا يجرى.

- ماذا تعنى بما أفعله لوالدى...؟

وسمعت صوت دوغلاس يناديها :

- ماما.. أنا جاهز للنوم. فقالت لوالتر:

- لم أخبر دوغلاس بعد عن والدى أو تشارلز.. ولا أريدك أنت أن تقول شيئاً.

ووقفت عل قدميه، لا يبعد سوى إنشات عنها وقال بغضب:

- أنا واثق من هذا.

ولم تفهم ماذا يعنى. فاستدارت لتخرج من الغرفة.. ولحق بها.. فقالت جاهدة لأن تبدو مرحة.

- لقد غير آل باكستر موديل السقيفة لتصبح غرفة لدوغلاس. أليست جميلة!

- باكستر؟

- إنهم مالكوا المنزل. ألا تملكينه أنت؟

- أتمزح..أنا محظوظة لمجرد تحمل إيجاره.

وقال دوغلاس.

- إنهم يعيشون فى أستراليا طوال الشتاء، وأمى تعتنى بالمنزل. تعال لأريك نماذج صواريخى.

وقالت جاكلين:

- انتبه لرأسك والتر.. الغرفة لم تصنع لرجل يفوق المتر وثمانين.

بعد قليل تمنى والتر للصبى ليلة سعيدة.. وعانقته أمه.. وهمست له:

- نم جيداً..أحبك.

- وأنا أحبك أمى.. تصبحين على خير.

ولحقت بوالتر إلى حجرة الجلوس، وهاجمته بالقول:

- لدى سؤال.. كيف وجدت مكان سكنى؟

- من لوحة سيارتك... وصلت إلى العنوان عبر الملفات.

- اوه.. هل يستطيع تشارلز فعل هذا؟

- لا ولكنه سيجدك عاجلاً أو آجلاً، فمن الصعب فى مكان صغير كهذه المنطقة أن تبقى مختبئة.

وقالت له بصراحة:

- أحتاج لمساعدتك والتر. والدى يريد أخذ دوغلاس، ولن تهمه الوسيلة.. هل بإمكانى إستئجار خدماتك، ولو لبضعة أيام، كى تراقب دوغلاس؟

ولم يظهر على وجهه أى إنطباع.. ثم قال بهدوء:

- لدى إجازة لمدة شهر.. وليس عليك أن تدفعى لى.

- الأفضل أن أدفع.. فهذا إتفاق عمل.

- بالنسبة لك، وربما.. وسأبقى.. مع إنه ليس ضرورياً أن يكون بقائى للأسباب التى قد تفكرين بها.

- لا أريد معرفة دوافعك! وتقدم خطوة منها:

- آه..ألا تعرفين؟

وأمسك بكتفيها وأحنى رأسه ليقبلها، وكان بإمكانها تجنبه أو دفعه عنها.. ولكنها وقفت دون حراك وهى تحس بدفء يديه على كتفيها..

والرغبه فى شفتيه. وبتجاوبها المجنون. ولم تستطيع إخفاء هذا التجاوب، بل إقتربت منه أكثر.. لتعانقه.

وتلاشى الزمن.. تلاشت الأفكار.. وغـــــرقت في الحلاوة... في فوران دمها الحار، والرغبة الحمراء الجامحةالتي طالما كبحتها.. ونسيت جرحه.. فمدت يدها على رأسه، وأحست بالألم يجتاحه.. فتراجعت.. وهي تقول برعب:

- والتر.. أنا آسفه... فسألها بخشونه:

- هل تنسين نفسك هكذا دائماً؟

وأحست كأنما صفعها.. فقالت:

- لقد نسيت نفسي مرة.. وكانت النتيجة دوغلاس ... مع إنني بصراحة لا أذكر أن رغبتي بكارل تماثل رغبتي بك.

وبدا مأخوذاً بما قالته للحظات، ثم وكأن شخصاً آخر تولى زمام أمره.. فقال بعبوس:

- وهل تتوقعي أن أصدق هذا؟

- أحب أن تصدقني .. فالأمر صحيح.

ومرر أصبعه على وجهها:

- إذن كارل هو والد دوغلاس؟ لماذا تركتيه؟ ألم يكن ثرياً مثل والدك؟

وضربت له يده لتبعدها عنها، وأجابت بغضب:

- لست مضطرة لأتحمل مثل هذا الكلام، إذا كنت لا أعجبك فلماذا تتقرب منى وكأننى آخر إمرأة على هذه الأرض؟ ولماذا أزعجت نفسك فى ملاحقتى إلى هنا.

- لو كنت أعرف الجواب.. لما كنت هنا على الأرجح!

دعنى أوضح لك شيئاً. أنا لا أبحث عن أب لدوغلاس.. فحياتى كما هى تعجبنى.. وإذا كنت تظن أنك ستحصل على علاقة غرامية عابرة ودافئة معى مقابل حراستك لدوغلاس فأنت مخطىء! فهذا ليس ضمن شروط اللعبة.. فلا أريد علاقة.. فثمنها مرتفع.لذا، إذا كنت هنا لهذا السبب فلديك فرصة الآن للذهاب.

وأعاد سؤاله لها بكل برود:

لماذا تركنى زوجك يا جاكلين؟

وكانت متكدرة جداً لأنها لا تقول سوى الحقيقة:

لأنه ضحك على عندما قلت له إننى حامل.. وهذا سبب وجيه.. ألا تظن ذلك؟

وصمت بضع لحظات ثم رفع حاجبه:

هل هذا صـحـيح؟ ربما كـان خـائفـاً من طبـاعك الشرسة.. كم من وقت يراه دوغلاس؟

لقد أوضح كارل إنه لا يريد فى أى وقت من الأوقات أن يرى الطفل الذى هو مسؤول عنه بنسبة خمسين فى المئة، وقال أننى غبية لأن أحتفظ به واتصلت به عندما ولد.. ولكنه لم يتنازل لرؤيته.

وأحسست بالغصة فى حلقها، فهزت كتفيها وتابعت:

لقد انتهى الأمر الآن.. هل ستبقى أم سترحل؟

بل سـأبقى.. أنت لغز أكثر من تسعين بالمئة من القضايا التى عملت بها.

وقالت له، بارتياح ظاهر:

ليس لدى غرفة نوم إضافية.. ولكن الإريكة هنا كالفراش، وسأعدها لك... وأحضر لك بعض المناشف.. هل لديك حقيبة؟

فى السيارة. سأحضرها لك.. ولا تجادلنى.

أنت إمرأة قوية الإرادة!

بينما أنت لست معتاداً على تلقى الأوامر من أحد، فما

بالك من إمرأة.

وكبحت جاكلين ضحكة كادت تفلت منها وغادرت الغرفة، مغلقة الباب وراءها.. لقد دعت أكثر من حارس لدوغلاس إلى بيتها ولكنها لم تعد فى التاسعة عشرة، إنها إمرأة ناضجة الآن، وقادرة على إبقاء والتر شيرمان عند حده. وسيبقى حيث هو.. فى غرفته.. فى فراشه.. وهى ستبقى فى غرفتها.

عندما استفاقت فى الصباح التالى عند التاسعة، دخلت إلى الحمام لتأخذ دوشا».. وأول ما صدمها هو عطر والتر لما بعد الحلاقة.. مما جعل ما تبقى من غشاوة النوم تطير من عينيها. وهكذا لم تندهش عندما دخلت المطبخ، أن تراه جالساً قرب النافذة يقرأ الصحيفة.

وبدا وكأنه فى منزله.. مرتاح جداً.

وكان دوغلاس يجلس إلى المائدة يتناول طعامه، وبفم ملىء «بالكورن فلكس» صاح:

صباح الخير أمى. ورفع والتر رأسه عن الجريدة:

صباح الخير.. لقد صنعت القهوة.

وعاد ليقرأ الجريدة.

وخـرج الثـلاثة إلى البلدة للتـسـوق.. ثم عـادوا إلى المنزل.. وذهب دوغلاس رأساً إلى غرفة الجلوس ليشاهد برنامـجه المفضل على التليـفزيون، وبدأت جاكلين تضع الخـضروات فى المغسلة لتنظيـفهـا متـعنيـة لو أن لوالتر شىء من الاهتمام بالتليفزيون.. وقال لها والتر:

أرِحى أعصابك يا جاكلين. فقالت له بصدق:

لست معتادة أن يكون معى أحد سوى دوغلاس.

سأبقى هنا شهراً، والأفضل أن تعتادى على وجودى.

شـهر بدا لها وكأنه الأبد، حكم مؤبد. وأحسست بكل جارحه من جسدها بوجوده قربها، فكرهت نفسها لهذا.. وقالت:

أترغب فى المكرونة أم باللحمة مع الخضار؟

المكرونة.. هل أحضر لك البطاطا؟

أنت تتصرف كزوج وليس كحارس لولد.

وندمت على ما قالته.. فقد أجابها:

كنت يوماً الأثنين معاً، سكين الخضراوات بحاجة للشحذ.

هناك حجر للشحذ فى الجارور قرب الفرن.. ألا زلت متزوجاً؟

بل مطلق.. منذ خمس سنوات هل لديك بعض الزيت؟

ومدت يدها إلى خزانة تحت المغسلة وأعطته علبة الزيت:

ألم يعجبها كونك شرطى؟

لا تتطفلى كثيراً.

ولكنك أنت من فتحت الموضوع.. هل هى السبب فى كرهك للنساء؟

أنت تقومين بعدة إفتراضات فى وقت واحد. ولست أنوى أن نبدأ معركة ودوغلاس فى الغرفة المجاورة.

وشغلت جاكلين نفسها بتحضير الطعام، وحاولت المحافظة على صمت مشرف فهى قد نسيت أن المكان صغير.. وهو لم ينسى ولم يمضى عليه هنا سوى أقل من أربع وعشرين ساعة وتساءلت فيما بعد، بمزيج من السرور والسخط، ووالتر يسألها عن كمية المعكرونة وعن كمية البطاطا ويشغل نفسه بشحذ ما تبقى من السكاكين.. هل هكذا يتصرف الأزواج؟

ما تعرفه جيداً، أن والدتها لم ترفع صوتها يوماً بوالدها.. ولكنها ماتت وجاكلين فى السابعة من عمرها، فكيف يمكنها أن تعرف شيئاً عن حياة المتزوجين؟ وهى لم تكن لتتوقع أبداً أن ترى نفسها متزوجة!

لقد برد اللحم يا جاكلين.

ونظرت إليه وكأنها تراه لأول مرة:

أظن أن على الزوجين الكفاح لأجل نجاح زواجهما.. ما رأيك؟

ونظر إليها بدهشة:

هناك أمر واحد فيك.. لن أعرف أبداً ما ستقولينه مسبقاً. كنت أتوقع منك درساً عن الخضروات، وليس عن الزواج.. وأنا لا يمكنك سؤالى، لأن زوجتى هجرتنى.

وأخذ منها وعاء الطبخ ليسكب ماءه الساخن فى المغسلة، وانتشر البخار فى الجو وعلى النافذة..

أراهن أنك لم تقل لأحد أبداً كيف تشعر حيال ذلك.

فقال لها متجهما:

فضل أن تستدعى دوغلاس.. أليس كذلك؟ فقد جهز العشاء.

وكانت الوجبة لذيذة. وبعد غسل الصحون، لعبوا الورق على طاولة المطبخ.. وضحكوا كثيراً.. وعندما نظرت أخيراً إلى ساعتها صاحت:

يا إلهى، الساعة التاسعة والنصف.. حان وقت النوم يا دوغلاس.

دور آخر يا أمى.. إنه متقدم على.

دور واحد فقط.

وركز دوغلاس على لعب الورق، وفاز بالدور هازماً والتر الذى أخذ يضحك ويفرك شعر دوغلاس.. ثم توقف فجأة وجمدت يده، وعلى وجهه مسحة ألم شديد، لم يلاحظها دوغلاس المستغرق فى جميع الورق. ولاحظت جاكلين هذا، فأدارت وجهها.. فمهما كانت مشاعر والتر فهى تدرك بأنها خاصة جداً.

بعد ربع ساعة، وبعد أن وضعت جاكلين ابنها فى الفراش، دخلت غرفة الجلوس مع والتر.. وجلست على مقعد له ذراعان بينما جلس والتر على مقعد قديم مرتفع الظهر.. وبادرها والتر بهدوء:

أظن أن هناك فرصاً كبيرة لدوغلاس فى إقامته مع جده.. أفضل أنواع التعليم يمكن للمال أن يوفرها.. فرص السفر..

ولكننى لست موافقة.

لماذا جاكلين؟

لأننى لا أريد أن يمر ابنى بنفس نوع التربية التى مررت بها!

-آه.. الآن قد توصلت إلى صلب الموضوع.. أنت تكرهين والدك.. أليس كذلك؟

أنا أكره بعض تصرفاته.. فهو لا يحب دوغلاس.

ولكنك لم تمنحيه الفرصة.

وإلى ماذا تريد أن تصل يا والتر؟

لتنظر إلى الأمور من وجهة نظر مختلفة. أيمكن لنا هذا؟ بدافع الانتقام أبعدت دوغلاس عن جده منذ ولادته.. وبعد موت شقيقك، أصبحت فى وضع رائع للتفاوض، وإذا أراد والدك رؤية حفيده يجب أن يتم هذا عبرك..

وسوف يضطر للدفع رغماً عن أنفه... ولهذا السبب كنت خائفة... خائفة أن يكون والدك قد أتبعك بشخص ما وسيجد أين تسكنين.. ولو استطاع والدك أن يتوصل لرؤية حفيده ساعة يشاء فلن تستفيدى أنت بشيء أليس كذلك؟ فبالطبع إذن، عليك إخفاء ابنك عن عين جده.

وتنفست نفساً عميقاً.. وقالت بصوت متهدج:

أنت لا تصدق هذا الكلام حقاً.

والدك رجل غنى.. وواضح أنك خالية الوفاض.

وردت عليه بكبرياء:

بل لدى الكثير.. لدى ابنى الذى يحبنى وأحبه... ولدى أصدقاء طيبون، وعمل أتمتع به وأنا محظوظة لوجود مثل هذا المكان الجميل لأعيش فيه.. وهذه هى الأمور المهمة، وليس مال والدى.

فوقف والتر.. وسار نحوها، وعيناه مثبتان عليها.

كم هذا ذكاء منك. هل تقولين أنك لم تتوقى أبداً لقسم من ثروة والدك؟

– لا.. أنا لم أقل هذا! مر على أوقات احتجت فيها للمال. ولكننى لم أطلب منه.. ولن يفعل هذا لقاء أى شىء.. وإذا قال أننى فعلت.. فهو مخطىء.

– أنا لم ألتق بوالدك.. قلتها مراراً.. تشارلز هو من أبلغنى هذه التفاصيل، واللعبة التى تلعبينها.

– وهل قال لك هذا عندما علقتما وراء التراكتور.. كم كان المكان مثالياً.. واخترت أن تصدق مأجوراً بدلاً منى؟

– لقد صدقت وجهة النظر المعقولة.

– ولماذا تبعتنى إذاً، طالما أنا فى نظرك دون مبادىء؟

وأمسكها بذراعها:

– منذ خمس سنوات لطلاقى.. أنت المرأة الوحيدة التى استطاعت أن تؤثر بى... وافهمى ما شئت من هذا.

– أنت لن تكون ضابط بوليس محترم لو سمحت لغريزتك أن تقودك حيث تشاء.

–اوه.. أنت لست السبب الوحيد لوجودى هنا... فهناك أطراف أخرى فى اللعبة، هل نسيت دوغلاس.. أنا هنا

لأحمي دوغلاس من كليكما.

- الأفضل لك أن تتوظف للعناية بولدك!

وغادر اللون وجهه.. وقال هامساً:

- كيف عرفت بأمر ابني؟

لو أنها لم تشاهد في حياتها الألم الصرف الفج على وجه إنسان، فقد رأته الآن.. وهي المتسببة فيه.. فأسرعت تقول متلعثمة:

أنا.. أنا آسفه.. ما كان يجب أن أقول هذا.. ولكن ابنى من شأنى لوحدى .. ولا شأن لك به. لقد اعتنيت به لسبعة سنين لوحدى ولا أريد المساعدة من شخص يكرهني. وكما كان بإمكاني الإستعانة بخدماتك يمكنني الاستغناء عنها وهذا ما سأفعله في الحال.. اريدك الذهاب من هنا في الغد يمكنك وداع دوغلاس في الصباح ثم تغادر المنزل.

لا.. بل ستفعل ما أقوله! هذا بيتي، وأنا من يقرر من يدخل إليه ومن يبقى فيه.

ليس في هذا الظرف يا جاكلين.. أنا هنا وسأبقى هنا.

وتمادى غضبها إلى أبعد حد فقالت بخشونة:

سأجبرك على ترك المنزل!

فرد عليها بلطف:

كيف؟ لا يمكنك الإتصال بالبوليس.. ولو أنك خائفة حقاً من أن يخطف دوغلاس، لكان عليك التوسل إلى للبقاء.

إنه على حق.. إنها خائفة.. ومع كل وجهات نظره ذات الأتجاه الواحد، فهو لن يسمح لأحد أن يأخذ ولدها منها غصباً.

– إذن.. عدني بشيء. أقسم لى أن لا تأخذ دوغلاس إلى جده.. وأن لا تتصل بتشارلز.

– لفترة شهر أقسم أن لا أفعل.. وما عدا هذا لن أقسم على شيء وأحسست بالراحة، فقد ربحت شهراً من الأمان. فقالت له: شكراً لك.

وهز لها رأسه باقتضاب.. ومرت من أمامه، لتخرج إلى غرفتها وتغلق الباب خلفها.. ووقفت أمام النافذة تحدق بنهر السين يتلألأ تحت ضوء القمر الفضى.. ففى الدقائق الأخيرة التى مرت، عرفت ماذا تريد خلال الشهر القادم.. إنها تريد أن يؤمن بها والتز.. وأن ينظر إليها

كما هى حقيقة.

فى الصباح.. سارعت إلى صنع فطار من العجة والفطائر المقلية ثم اختفت فى غرفتها لتقرأ.. بينما جلس دوغلاس ينهى فروضه.

وبعد غداء متأخر.. خرجت مع ابنها للنزهة قرب النهر، وليتفرجا على طيور البط تسبح فى دوائر.. وهما يسيران قالت له، وهى تكره ما تقول:

دوغلاس هناك شىء يجب أن أقوله لك. الأمر هو عن جدك.

وأخذت تنتقى كلماتها بدقة لتصف له ما جرى بينها وبين والدها.. ولتصف له تشارلز.. وأنهت بالقول:

لذا لا أريدك أن تتحدث إلى أى غريب، ولا أن تركب فى سيارة أحد.. أوكى؟ ووالتر هنا ليراقبك ويحميك.

مثل رجال الأمن الذين يحمون رئيسة الوزراء تاتشر؟ هل معه: مسدس؟

أتمنى أن لا يكون معه. سأسأله.. واو.. هذا أمر عظيم!

ولكن لا تخبر أحداً فى المدرسة.

ولا كايت؟

ولا كايت.. والتر أمام الجميع مجرد صديق يزورنا.

أوه.. لقد اعتقدت أنه صديقك.. وإنكما يمكن أن تتزوجا.

– لا يا حبيبى.

وعادا إلى المنزل.. سيارة والتر كانت فى الكاراج، وكان يشتغل بشىء ما فى المحرك.. فسارع دوغلاس لينضم اليه وسمعته يقول له:

– لقد أخبرتنى أمى أنك حارسى الشخصى مثل الملكة أو رئيس الجمهورية.. فهل لديك مسدس؟

ولم تنتظر لسماع الرد، فدخلت إلى المنزل.. دوغلاس لم يكن قد أثار من قبل إمكانية زواجها، أو إنه يفتقد تلك الحياة العائلة الكاملة التى يعيشها أصدقاءه.. وأحست بالغضب تاجاه والدها.. فبسببه كان وجود والتر ضرورياً.. وجود والتر، مجرد وجوده هنا، سيأتى بالتغيير... وهذا ما هى واثقة منه.

تلك الأمسية تلقى الثلاثة دعوة لتناول العشاء عند مارتا وأوليفر. وأخذت جاكلين معها نبتة جميلة من المشتل كهدية.

– شكراً لك جاكلين حبيبتى.. وأنت لابد أن تكون والتر.. ولكن جاكلين لم تقل لى أنك فاتن.. كيف حالك؟

فقال لها زوجها ممازحاً:

– إحسنى التصرف يا مارتا.

وهز يد والتر مقدماً نفسه:

–اوليفر باكستر.. سعيد لمقابلتك.. تفضل.. سأحضر لك كأس شراب.

ونظر إلى جاكلين ثم قبلها:

أنيقة كما أنت دائما. فضحكت جاكلين لوالتر:

أخصم نصف ما يقوله.. وقابل تملقه باحترام.

ووضعت يدها فى ذراعه وهما يدخلان إلى دفء المنزل المريح وقالت:

على الرغم مما قلته، فهما أفضل أصدقائى.. وهما من دبر لى الإقامة فى منزلى الحالى، ولهذا لوحده سأبقى ممتنة لهما.

والتفتت مارتا إلى والتر وقالت:

أتمنى أن تحب الطعام الحار يا والتر..

لقد أمضيت أربع سنين فى الشرق، تعلمت خلالها شيئان.. أن آكل الفلفل الحار حتى يحترق سقف حلقى، وأن لا أسأل عن نوع الحيوان الذى أتناول لحمه.

فضحك أوليفر.

لو كنت أعلم هذا لأخذت حريتى فى الطبخ أكثر.. مارتا لا تسمح لى أن أتمادى فى استخدام «الحر» عندما يكون لدينا ضيوف لا نعرفهم.. فى أى منطقة كنت؟

وروى والتر بعض تجاربه فى الفيليبين وأندونيسا،

بعدها روت مارتا مغامرة يقف لها الشعر عن أيام سفرها (أوتو ستوب) فى إيران. وأحست جاكلين بالسعادة؟ فوالتر توالف مع أصدقاءها بروعة، ويبدو عليه أنه متمتع. وكيف لا؟ وتلك كانت أمسية من الأمسيات الحميمة التى يشعر فيها الإنسان بالسعادة رغماً عنه.

وكان الأطفال قد ناموا ساعة انتهت السهرة فاقترحت مارتا أن يبقى دوغلاس عندها، وهذا ما يترك جاكلين ووالتر لوحدهما فى المنزل، وبكل حذر، ودون أن تنظر إليه قالت:

– لم يأت معه بوظائفه، وإذا لم يقدم واجب اللغة غداً سيقع فى مشكلة مع معلمته.

فى وقت آخر إذن، أيمكنك حمله وهو نائم يا والتر؟

بالطبع.. سأذهب أولاً لإدارة السيارة وتدفئتها.

وعندما عاد، وهو ينفخ فى أصابعه طلباً للدفء، قادته جاكلين إلى غرفة الاطفال وهمست له:

وسوف نلف البطانية من حوله.

وانحنى والتر يجمع الطفل فى حضنه، بينما لفت

جاكلين أطراف البطانية حول أطراف دوغلاس.. وتمتم الصبى بشىء، ثم دفن رأسه فى صدر والتر، وللحظة، بدا على والتر وكأن شخصاً قد طعنه بسكين، وعلقت أنفاس جاكلين فى حلقها، ولكن قبل أن تتمكن من قول أى شىء تغير وجهه وعاد إلى طبيعته الجامدة. ووصلا إلى المنزل وهما صامتان.. ونزل والتر من السيارة واستدار إلى حيث تجلس جاكلين حاضنة الطفل وقال باختصار:

سأحمله إلى فوق.

وسارعت جاكلين لتنظيف السرير من الدفاتر والكتب، وسحبت الغطاء، فألقاه والتر من على كتفه وغطته جاكلين.. ومع أن نصف إبتسامة كانت ترتسم على شفتى والتر إلا أن الألم كان يملأ عينيه... وابتعدت جاكلين عن السرير وقالت له هامسة:

لابد أنك تفتقد ابنك.

ردة فعله كانت عنيفة، فقد غرز أصابعه فى كتفها.. وجرها إلى الخارج.. ثم نزولاً على السلم وأدارها إليه فى الردهة لتواجهه:

– كم مرة أنا بحاجة لأقول لك أن تبتعدى عن ذكر

حياتى الخاصة؟

وبدا تماماً مثل والدها عندما أخبرته منذ ثمانية سنوات أنها حامل.. وتريد ترك زوجها. ولكن والتر ليس والدها.. وثبتت قدميها جيداً فى السجادة ورفعت كتفيها بكبرياء:

اللعنة على حياتك الخاصة! ما أنت خائف منه هو أن تكون من البشر، لك مشاعر وندم وألم.. أنت مثال الرجل المتكبر! النوع الذى تعجب به صناعة السينما.. الكتوم الذى يعانى بصمت نبيل.. أنت لست بشراً بالمرة يا والتر شيرمان.. أنت «روبوت»!

وساد صمت مميت، وأخذت كلماتها ترن فى أذنيها، وأحست بالخوف من مجرد قدرتها على التلفظ بها، والتصق بها والتر قائلاً:

وهل هذا صحيح؟ ما رأيك بهذا إذاً؟

وعرفت على الفور ماذا سيفعل، وعرفت أكثر أن هذا فظاً.. فقد حدث ما يكفى بينهما. وبمهارة مسرحية أدارت عينيها.. ورمت برأسها إلى الأمام، وارتخت أطرافها كما كان دوغلاس مرتخياً بين ذراعيه.

وببطء، وعلى الرغم من صغر حجم جسدها، وضعها متثاقلاً على الأرض. واستلقت دون حراك.. وقال لها بخشونة:

– حسن جداً جاكلين.. لقد فزت بهدفك.. بإمكانك النهوض الآن.

فاختلست نظرة إليه عبر رموشها.. وقالت له بلهجة منجرحة:

– أتعنى أننى لم أخدعك؟

– معظم رجال البوليس يتدربون على معرفة الأغماء الحقيقى من المزيف.

ولكننى حصلت على الجائزة الثانية للتمثيل فى المدرسة.

أصدقك.. وسأتخلى عن بعض كبريائى لأقول لك إننى أتمنى من الله أن أستطيع التمييز بين تمثيلك وحقيقتك.

– أتظن أننى أمثل طوال الوقت؟ لم احتج إلى التمثيل منذ غادرت منزل والدى.. غريب لم أدرك هذا من قبل.

وقال لها بصوت لاذع كالسوط:

أنت إذن تلمحين إلى أننى مثل والدك؟

لا.. أنت لست هكذا، بالعاطفة الوحيدة التى حصلت

عليها منه كانت الغضب فقط.. وحصلت عليها منه كانت الغضب فقط.. وحصلت على الغضب منك أيضاً.. ولكننى أرى الألم والضحك واللطف أيضاً. ولكن كل هذا قد أصابة الصدأ لعدم الأستعمال.. هذا كل شىء! وأنت تلاقى صعوبة الأن فى إعادة استعمالهم.

أنت تخلطين فى تحليلاتك.

وأمسك بيدها، ونظر إليها وكأنه لم يشاهد يد إمرأة من قبل. وأخذ يمرر أصبعه على خطوط راحتها ثم أخذ يعبث بأصابعها، الخالية من الخواتم وأمسكت بأنفاسها، فالاحتكاك كان ينتشر من يدها إلى كل جسدها موجة أثر موجة مليئة بالألوان وكأنها البحر الاستوائى. فهذا هو ما ترغب به، وليس العناق ولا القبل، المليئة أحيانا بالغضب وأخذ ذلك البحر الاستوائى الملون يغريها.. يغريها لأن تغرق فى أعماقه المجهولة المشحونة بالإثارة وأحست بالدوار، وكأنها لم يعد لها عظام.

ورفع رأسه، وعيناه كجمرتين ملتهبتين.. ولاحظت أنه يجاهد كى يجد صوته:

أنت تريدينى بالقدر الذى أريدك فيه.. أليس كذلك؟

وهل تشك فى هذا؟

لقد شككت.. فأنت دائماً تصرخين فى وجهى.

للتصعيد فقط.

آه.. ولكن لا يجب أن نفعل هذا .. فما بيننا هو إتفاق عمل.. أنت استأجرتنى.. أتذكرين؟

كحرس شخصى.

ولكن ليس من عملى أن أحرس جسدك.. بل أريد امتلاكه وأضع وصمتى عليه، وأعرف كل أسراره.

لا يا والتر، فأنا لم أعرف رجلاً منذ والد دوغلاس..

ثمانية سنوات؟ هذا صحيح.

لماذا ملت إلى إذن؟

لست أدرى. فضحك.

هذا يرضى غرورى..

بعد لحظة صمت همست له:

لقد ابتعدت.. أين أنت يا والتر.. ماذا حدث؟

- لست أدرى أين أنا ، وأنا معك، كلما ظننت إننى

عرفتك، ترسلينى إلى المجاهل ثانية... ثمانية سنوات؟...

- عندى طفل أربيه، وأنا أبقى سقفاً فوق رأسينا ومالاً أكسبه ولم يكن لدى الوقت، ولا الطاقة، لأفكر بشىء آخر! على كل الرجال اللذين عرفتهم كانوا والدى الذى لم يحب أحداً فى حياته، وشقيقى الذى كان نسخة طِبقْ الأصل عن والده. وكارل الذى هجرنى وطفلى دون أن يفكر بمصيرنا. فلماذا أرغب فى رجل بعدهم؟.

- أنا لا أحب النساء وأنتى لا تحبين الرجال... فلماذا إذن نتعازل على سجادة الردهة عند الثالثة صباحاً؟ - قل لى أنت لماذا.

ولكزها على ذقنها بقبضة يده:

- إذهبى إلى الفراش جاكلين، ورلا ستكونين نكدة الطباع فى الصباح أكثر من عادت

- لا تأمرنى

- كم أنتى قطة متوحشة تحت مظهرك الخارجى اللطيف.. تصبحين على خير.. وأحلاماً سعيدة.

كان يضحك منها.. وأحست بالإحباط، وعواطفها

تصطدم بالواقع كما الأمواج على الصخرة. وذهبت إلى النوم.

صباح الإثنين..

صباح الإثنين لم يكن يجب أن يخترع.. هكذا فكرت جاكلين وقد همت برمى ساعة المنبه إلى الأرض... ولفت على جسدها روب النوم، ثم توجهت إلى الحمام.

عندما توجهت إلى غرفة الجلوس.. كان بابها مفتوحاً ووالتر على الأرض يقوم بتمارين رياضية، ظهره مستقيم، يدفع بجسده إلى فوق ثم إلى تحت وعضلات كتفيه وذراعيه بارزة.

- أنت مولع بتعذيب نفسك والتر شيرمان.

فنظر إليها من فوق كتفيه دون أن يتوقف.

- وهل إرتديت ملابسك بهذه السرعة؟

- طالما أصبحت تسكن هنا على أن أشترى روب منزل.

- كنت أظن أن الروب المنزلى جزء من خزانة ملابس أى سيدة..

وتوقف، ثم وقف على قدميه، ومسح العرق عن جبينه بذراعه وهو يقفز فى مكانه.

ـ إنه يوم جميل.

الشمس مشرقة والسماء زرقاء.. لماذا لا تملكين روب منزل؟ مع إنك فاتنه كما أنت الآن.

ـ كل ما أستطيع شراءه غير جميل أو لا يناسبنى.. أريد شيئاً غريب الطراز للمنزل.. قفطان مزخرف أو سارى من الحرير.

ـ أتعنين أن إرتداء القفطان يجعلك تقفزين فى الصباح من الفراش مليئة بالحيوية؟

ـ لا أستطيع ضمان هذا.. صباح يوم الإثنين أسوأ وقت فى كل الأسبوع.

ـ ربما نستطيع تحسينه.

ـ وماذا تقترح؟ ـ ما رأيك بشىء حميم؟ وخطا نحوها وهو يبتسم، ثم إنحنى عليها ليقبلها، مبقياً على يده إلى جانبيه ولم يتحرك ليلغى المسافة بينهما. ثم إبتعد عنها.. ففتحت عينيها مندوخة، فسمعته يقول:

ـ هل يحسن هذا توقعاتك لصباح الإثنين؟

ـ بما لا حدود له.

ونظر إلى وجهها المتورد وشعرها المضموم:

- لم تعودى تبدين نكدة.

- أوه بل أشعر بالنكد. إذ بدلاً من أن أفعل ما أرغب به الآن، على أن أوقظ دوغلاس وأذهب إلى عملى.

- وهل أعتبر هذا إطراء لى.

- سأسحب أى شكوى تقدمت بها حول تقنياتك.

ونفخ عضلاته ساخراً:

- لم ترِ شيئاً منى يا طفلتى بعد. فضحكت بجذل:

- إنها نظرة جديدة بالكامل لأول يوم فى الأسبوع، وحتى قبل الفطار. وعملت فى محل الأزياء طوال اليوم، وفى المساء ساعدت دوغلاس فى صراعه مع تأليف فقرة إنشاء عن «الديناصور».. وفى اليوم التالى عملت فى المشتل.. وخرج والتر من المنزل طوال النهار وعاد فى الوقت الذى عاد فيه دوغلاس من المدرسة. وقالت لدوغلاس بعد عشاء مبكر: - أتحب الذهاب إلى مزرعة بيترز.. كلبته ولدت جروين صغيرين.

- أجل.. الآن؟

- سأتصل به لأرى إذا كان فى المنزل.

وجاء صوت بيتر على الهاتف ليؤكد أنه بإنتظارهما.. والتفت إلى والتر الذى مر عليه يومان دون أن يتقرب منها:

- بيتر هو مالك الة الحرث.. وربما لا تريد القدوم معنا.

- سآخذكما بسيارتى.

- فلنذهب إذن.

فى الزريبة حيث وجد دوغلاس سعادته فى التفرج على الأبقار، والعجول الصغيرة، ثم ليلعب مع الجراء الوليدة.. بعدها إكتشف وجود دزينتين من «الصيصان» يختبئون تحت مصباح كهربائى لأشعة ما تحت الحمراء فى أحد الحظائر، ريشها أصفر وأحمر.

وقال بيتر لجاكلين:

- سعيدلانك توافقت مع والتر.. انت بحاجة لرجل.. كل النساء هكذا.

- كلام هراء. انتم الرجال لستم «لا غنى عنكم» كما تظنون انفسكم.

- هذا ليس صحيحاً.. فانت تربين ولداً لوحدك.

ـ انها تقوم بعمل رائع يا بيتر.. اخبرني ما هو مدخولك الشهري من الحليب؟

ونجح هذا في تغيير مجرى الحديث، فبيتر مولع بأبقار الحلوب. ويحب البحث في امور الحليب ومشتقاته طالما وجد مستمعاً، وبعد نصف ساعه ذهبوا الى منزل بيتر لتناول الشاى ثم عادوا الى المنزل.

وعملت جاكلين اوقاتاً اضافيه في محل الأزياء لحاجتها الى المال. لتدفع اجر والتر من جهه ولتوفر بعض النقود لمصاريف عطله الربيع من اجل دوغلاس. ولقد حجزت «شاليه» في احد المنتجعات الجبليه للتزلج.

وابقت نفسها مشغوله.. مصممة ان لا يلاحظ والتر انها متألمة. وبالتدريج تبين لها انها تمثل مره ثانية، تلعب دور الأم البارده المحافظه بينما تشعر بشكل مختلف تماماً.

كان قد اقترب منها.. ثم ابتعد.. ولا تستطيع فهم تقربه ولا ابتعاده. وبما ان لها كبرياء يمنعها من اظهار مشاعرها الحقيقيه، فقد اخذت تتألم سراً.. لم يكن هذا ليعجبها.. ولكنها لا تعرف ماذا تفعل.

فى منتصف الأسبوع الثانى لوجود والتر، قال لها دوغلاس صباح احد الأيام وهى تحضر له السندوتشات للمدرسه:

- هل بإمكان والتر ان ياخذنى الى التدريبات الرياضيه فى المدرسه اليوم يا امى؟

- انه يفعل هذا دائماً.

- اعنى لوحده، انا وهو، دونك.

فجأه استرعى ما قاله كامل إنتباهها، فنظرت إلى والتر الذى بدى غير منتبه لما قاله دوغلاس وسألته بخشونة:

- ولماذا؟

- الأطفال الآخرون يأخذهم آبائهم.

وكادت تصيح به: ولكن والتر ليس والدك.. واختارت كلماتها:

- أتحب أن يأخذك رجل إلى هناك؟

- ياه.. اليوم فقط.. إيربى غلينمر يأخذه والده دوماً.. وكان يسخر منى.

وأطرقت رأسها تنظر إلى مابين يديها..

- بالتأكيد.. لابأس بهذا.

– ألن تمانعي ياأمي.

ولزمها كل جهودها لتبتسم له ولتقول:

– فكرة رائعة.. سأجلس واقرأ لفترة ساعة.. إذهب ونظف أسنانك.. سيحضر باص المدرسة بعد قليل.

وأسرع دوغلاس إلى الحمام.. وتابع والتر قراءة الجريدة، والدمع يملأ عينيها أكملت جاكلين لف السندويشات.. دوغلاس لم يقل لها من قبل أن الأولاد يسخرون منه لأن ليس لديه سوى أم. وكان تفترض دائماً أنه سعيد لأنها هي التي تأخذه للتمارين الرياضية. وتدحرجت دمعة على علبة البسكويت، وسمعت كرسي والتر يتحرك. ووضع يده على كتفها:

– كان سيحدث هذا عاجلاً أم آجلاً.

واستدارت إليه صارخة:

– لقد قصرت معه.. لأنني لم أعطه أباً. لاتكوني..

وسمعا صوت أقدام دوغلاس، فأضاف والتر بسرعة:

– إمسحي دموعك، وقبليه.. ومتى أوصلته إلى الباص، سنكمل الحديث.

ومسحت عينيها ونفخت أنفها:

ـ على أن أكون فى محل الأزياء فى التاسعة.

ستتأخرين خمس دقائق.

وانحنت لتحتضن دوغلاس، وخرج والترمعه، وانحنت لتلتقط قطعة بسكويت عن الأرض وتنظف مكانها، ووجدت نفسها دون وعى تركع وتسند رأسها إلى الخزانة وتجهش بالبكاء.

ولم تسمع والتر وهو يعود، بل أحست به يمسكها بكتفيها، فشهقت ودفنت وجهها فى صدره منتحبة، تتشبث برقبته.

وبكت لفترة طويلة.. ولكن أخيراً توقفت دموعها، وسمعته يقول: خذى.. أنفخى أنفك.

ووضع علبة محارم الورق فى يدها، فنفخت أنفها، ونظفت حنجرتها، وقالت:

سأتأخر عن عملى أكثرمن خمس دقائق.

لقد اتصلت بهم.. وقلت أنك مريضة ولن تحضرى قبل الظهر.

لا أستطيع التعطيل عن العمل هكذا، ولاأستطيع أخذ إجازة مرض لأننى لاأعمل لدوام كامل.. وأنا بحاجة للمال.. فأجرك مرتفع.

– لست بحاجة لأن تدفعى لى أجر هذا اليوم.. لأنك سترتدين ثياباً سميكة وحذاء عالي الجنبين وسنذهب للتنزه قرب النهر، فكلانا اليوم لاعمل لدينا.

حسن جداً. سهلة الأنقياد! لا أصدق أبداً.

قلت لك أننى ممثلة ماهرة. ومد يده ليرفعها عن الأرض:

– أنت هكذا بالفعل.. ولكن قولى لى، لماذا تمثلين أدوارك دائماً وأنت على الأرض؟

أصابعه كانت دافئة وهى ملتفة حول أصابعها، وسحر لمسته جعلتها تجفل؛ فجذبت يدها منه.

ليس هذا.. ليس الآن. فرد عليها ببطء:

ولكنه موجود.. دائماً.. أليس كذلك؟ فى كل دقيقة أمضيها فى هذا المنزل ازداد شعوراً بك.

ولكنك لم تعد تلمسنى.. لم تفعل هذا منذ أيام.

كنت أخاف.. ألم تعلمى هذا؟ أستطيع مواجهة عصابة تهريب مخدرات فى أدغال الفلبين، ولكن إمرأة لاتتجاوز المئة وخمس وستين سنتم تجعلنى أهرب.

سنذهب إلى نزهة.. فى الخارج.. بعد أن أغسل وجهى.

لا لزوم للمكياج، فليرها والتر كما هى، إمرأة على حقيقتها. لقد سئمت التمثيل.. وارتدت سترتها السميكة الزهرية بلون خديها وانضمت إليه، عند الباب الخلفى

حنيـــن

كـان يومـاً رائعـاً.. الشـمـس تشـرق لتـجـعل السـجـادة البيضاء الثلجية تشع وكأنها الجواهر. السماد زرقاء بلون عيون جاكلين. واستنشقت ملىء رئتيها من الهواء النقى البارد.. وأسعادها أنها ليست الآن مدفونة بين رسومات الأزياء فى المحل، وأكثرسعادة أنها مع والتر.

وبرزا إلى خارج الأشجار، فأمسك والتر بذراعها وهمس:

أنظرى.. إلى يسارك.. قرب النهر.

وشـاهدت أرنبـاً بريـاً، يزحف على الثلج عـبـر الحـقل.. وكأنما أحس بوجودهمـا، فتوقف، ورفع أنفه إلى الهواء، وأذناه منتـصـبـتـان وبقفـزة كبـيرة.. اختـفى خلف أجـمة أشجار شائكة.

ألم يكن جميلاً؟ حر.. وبّرى..

ولكن الحرية وهم ياجاكلين.

ولمست كلماته وتراً طالما كانت تعرف أنه موجود:

هذا قول سهل عليك.. أمامك فرصة لشهر، وقررت أن تمضيـــيهـــا هنا. أوهناك أو فى أى مكان.. وأنا أحب دوغـلاس ولكن هذاا لحب يكلفنى حـريتى.. لذا أنا لست حرة.. ليس مثلك!

أتظنى زنى لستعلى استعداد لمقايضة مالديك بما لدى؟

كنت أظن أنك تفضل قضاء عطلتك قريب من ولدك.

وتعمقت الخطوط فى وجهه، وقال لها:

لن أستطيع.. لأنه ميت.

وعبر الصمت صاح غراب فى مكانما فوق رأسيهما، ومن على ضفة النهر أجاب آخر.. وهمست جاكلين:

ميت؟ منذ أربع سنوات.

وأحست بألم وكأنه ألمها.. وكيف لها أن تعيش لو أصاب دوغلاس أى مكروه؟ وكان والتر يقف تحت شجرة

صنوبر، ووجهه فى الظل فقطعت المسافة بينهما منضمة إليه، ودون شعور لفت ذراعيها حوله ولكنه أبعدها عنه بخشونة، وصاح بعنف:

لا تفعلى هذا!! إبتعدى عنى.. وأبقى بعيدة!

ومع ذلك ودون أى أثر للمشاعر التى كانت تعتمر فى داخلها قالت:

زوجتك تركتك منذ خمس سنوات.. هل كان ابنك يعيش معك والتر؟

ورد عليها بصوت أجش لشخص أعاد تكرار الوقائع هذه من قبل دون أن يسمح لها أن تؤثر فيه:

لا.. لقد تركته معها، وظننت أن هذا أفضل.. فهى أمه.. وتزوجت ثانية على الفور تقريباً. رجل شريف كفاية.. محام مستقيم لطيف.. وبعد خمسة شهورا، أراد الذهاب فى رحلة شهر عسل متأخرة. وكان على أن آخذه لثلاثة أسابيع.. ولكننى كنت مرتبط بتكليف عمل. فدبرنا أمر بقاءه فى مخيم لأسبوع.. فوقع عن شجرة فى اليوم الرابع من وجوده فى المخيم.ومات قبل أن يصل لنجدته أحد.

وأنت تلوم نفسك لما حصل له منذ ذلك اليوم.

ألن تلومى نفسك؟ ربما..

زوجتى لامتنى.. أو لامت وظيفتى.. لقد ولدت طفلين منذ ذلك الوقت كلاهما صبى.

ألهذا تركت البلاد.

لقد تقدمت بطلب عمل خارجى. وعندما حصلت على الوظيفة حاولت جهدى أن أعرض نفسى للقتل خلال تأدية الواجب. وكما ترين.. لم أنجح. ثم، ولأننى تكبدت كل المخاطر الممكنة إستطعت أن ألقى القبض على كلمجرم ومهرب مخدرات، ولو كان تحت الأرض، وهكذا حصلت على ترقيات.. ومنذ شهرين سحبتنى القيادة العامة من الخارج. فقد بدأت الأمور تصبح خطرة جداً حتى بالنسبة لى. كذلك فقد أدركت أننى لم أعد أرغب فى الإنتهاء إلى مترين تحت الأرض فى الغابات وأعتقد أن بإمكانك تسمية هذا نوع من الشفاء.

أنا آسفة جداً لما قلته عن الحرية ياوالتر.

حبى لولدى كان أقرب شىء لى إلى الحرية.. لقد

توقفنا أنا وزوجتي عن الحب فورزواجنا تقريباً. فهي قد تزوجت ضابط البوليس اللامع.. ووجدت أن ليس هناك أي لمعان في عملي.. وتزوجت أنا إمرأة ظننت أنها حرة ومستقلة، لأجد أنها تتعلق بأذيالي ليل نهار.. ولكنني أحببت ولدي.. وحسب كلماتك: أحببته أكثر من أي شيء في الدنيا. وكبحت جاكلين دموعها وقالت:

أفهم الآن لماذا أبقيت نفسك بعيداً عن دوغلاس منذ وصولك إلى هنا.

ومد يده ليمسك بها.. وقال لها:

إذا وجدت نفسي سأتعلق به.. سأذهب.

وأحست وكإنما لكمها في معدتها، فقالت بحدة:

وتتركه يُخطف؟

لا أظن أن هذا سيحدث، فوالدك لن يتحمل أي نوع من الفضائح العلنية بأخذ طفل من والدته. ليس في الدوائر التي يعيش ضمنها.

ولكنه يعرف مايبدو أنك تعاميت عنه.. إنه يملكالسلطة التي لا أملك منها شيئا. لا مال، ولا نفوذ، ولا أصدقاء

نافذين.. بل أملك الضعف الذى جاءنى مع حبى لولدى.

لقد مضى على هنا أكثر من أسبوعين الآن. ولم تستجد أية حركة. ولا أثر لتشارلز.. الذى كان بإمكانه إيجاد مكانك الآن لو أراد. وأظن أنك كنت تبالغين.. وأنا أفهم لماذا.. ولكننى لست أؤمن أن دوغلاس فى خطر.

ألا زلت تظن أننى أحاول خداع والدى؟

لست مستعداً لتصديق هذا أيضاً.

ولم تشعر بالسرور ولا بالراحة، وتراجعت عنه، ولم تكن تريده أن يرى إرتجافها، وتحولت إلى الغضب:

إذن.. وحسب قولك، لم يكن دوغلاس فى خطر، فربما أنت على حق فى الانسحاب. قبل أن تخاطر بحب شخص ما مرة ثانية. دوغلاس. أو أنا.. لا فرق مَن.. أليس كذلك؟

وصاح بها: لقد قلت أننى سأبقى لشهر.

أحلك من وعدك.. تستطيع الذهاب فى أى وقت تشاء. والأسرع.. أفضل.

سأذهب عندما أصبح بخير.. وأكون على استعداد!

وماذا لو تعلق دوغلاس بك؟ هل فكرت بهذا؟ لقد رأيت ماحدث هذاالصباح.. يمكن أن يتألم، وخاصة إذا بدأ ينظر إليك بمركز أبيه.

أجل.. لقد فكرت فى هذا.

وخرجا من تحت الأشجار إلى ضوء الشمس، وبدت عيناه لها سوداوان. وقالت له:

أنا أخاطر أيضاً.. أنا تحت خطر الوقوع فى حبك. ولست أريد أن يحصل لى هذا، فلماذا لاتعود إلى المنزل وتحزم حقيبتك قبل أن يتألم أحد.. أنت أو دوغلاس.. أو أنا.

فقال لها بصراحة:

لديك هبة بأن تستطيعى مفاجئتى دائما: ماذا تعنين أنك تحت خطر الوقوع فى حبى؟ هذا يدعى «رغبة» وليس حباً.

وقالت بواقعية وصدق:

سأدعوه ما أشاء. والحب هى الكلمة التى سأستخدمها

ولكنك لاتحبين الرجال.. أنت قلتى.

وأجابته بابتسامة شاحبة.

أنت لست «رجال» ياوالتر، وأظن أننى أوضحت هذا

لك.. أنت رجل معين تؤثر بى بطريقة لم أتأثر بها من قبل.. ولست أدرى ما إذا كان هذا هو الشعور بالحب.. ولكننى أعلن أنه من الأفضل لناجميعا لو أنك تذهب.

وأصبحت عيناه بلون غيوم السماء العاصفة، وهى تتجمع لتعتم السماء. وقال بخشونة:

لو أنك تقلبين معاشرتى لعرفت الفرق بين الرغبة والحب.

وهل أقبل أن أعاشرك لأثبت أنك على حق؟ لا.. أبداً

إذن لنفعل هذا لمجرد التمتع، للمرح، للمشاركة.. ولكن ليس للحب.

ثم ترتدى ثيابك وتحزم حقائبك.. وتذهب عند شروق الشمس..؟ لا.. يا والتر.. لن أفعل هذا.

أنا لست كارل! أنا لست أدرى من أنت!

لقد تكلمنا كثيراً، لنعد إلى المنزل.

نحن نتجادل كثيراً.. لقد خرجنا لنزهة، وهانحن نتخاصم. فتوقف عن هذا.. لن أحتمل كلامك.

فقال لها دون شفقة:

عودى إلى المنزل لوحدك إذن، وسأبقى معكما حتى

الأسبوع القادم عندما تذهبان إلى عطلة التزلج.

أى خمسة أيام بعد. وأطبق الألم على صدرها وحلقها.

أيعنى الحب لك هذا القدر فقط...

وتجاهلها متعمداً:

ستعملين فى المحل حتى السادسة.. أليس كذلك؟ سأحضر عشاء دوغلاس إذن.

خمسة أيام ثم سيذهب.. ولن تعلم أبداً ما إذا كان حبه تجربة تختلف عمامرت بهُ مع كارل.

وتنفست عميقاً وقالت بلهجة ثابتة:

لدى فكرة أفضل ياوالتر. لنعد إلى المنزل وسأريك مايعنى الحب لى.

وبدت كلماتها متجمدة مثل هواء الشتاء القارص، ومع ذلك تلفظت بها.. وهى تقنع نفسها إنها بهذه الطريقة سيكون لها شىء تتذكر والتر به.. ووقف والتر دون حراك!

جاكلين.. أتعنى ماتقولين؟ أجل.. أعنيه.

إنها تعنى الحب، وتساءلت ما إذا كانت بلهاء لتخاطر

هكذا، مع هذا الرجل بشكل خاص.. وهى التى لاتعرف حقاً معنى الحب. وقال لها والتر بصوت منخفض.

أنا أبداً لم أشك فى شجاعتك.

وعادا إلى المنزل.. وأوصلها إلى غرفتها واعتذر ليغيب لحظات. وفكرت لنفسها وهى ترتجف.. أنا مجنونة.. أنا أفعل تماماً ماعاهدت نفسى أن لا أفعل.. يجب أن لايكون بينى وبين رجل أوضح تماماً لى أنه لايحبنى ولايمكن أن يحبنى فى المستقبل، أية علاقة. هذا ليس نوعاً من المخاطرة.. إنه جنون.

وعاد والتر، وحملها بين ذراعيه معانقاً.. فقالت شاهقة:

والتر.. والتر.. لا أريد...

لا تقلقى، ربما ماتدعينه الحب، وما أدعوه مشاركة هونفس الشىء. ربما علينا نسيان جميع التسميات، والناس.. وكارل.. وزوجتى.. وابنى.. وابنك.. وأن نفعل مايبدو أكثر شىء طبيعى فى العالم.. عندما نكون معاً.

ولم تكن تدرى إذ كان صادقاً بكلامه.. ولكن ماتعلمه أنها سعيدة لأن تكون بين ذراعيه. وابتسمت له:

دون كلام.. ودون جدال..

دون ماض أو مستقبل. الحاضر فقط.

هنا.. والآن فقط.. أنت وأنا. إظهرى لى حبك.

لقد استخدم كلمة الحب. وباستطاعتها أن تقولها له، أن تقول: والتر أحبك، وهى تعرف أن الكلمة حقيقية. وأمسكت بوجهه فقال لها:

عندما تنظرين إلى هكذا.. أنا.. الجحيم.. لست أدرى ما أقول. تؤلمنى النظرة.. تؤلمنى عميقاً ولست أدرى ما الأمر.

وهز رأسه.. ثم مرر أصبعه على خدها:

لا شىء.. كنت أحمق.. وإذا كنت تريدين الذهاب إلى عملك بعد الظهر أيتها السيدة.. الأفضل أن تتحركى الآن فالساعة الحادية عشرة والنصف.

ونظرت إلى الساعة قرب السرير:

لا يمكن هذا! لقد مر الوقت بسرعة.

هذا مايحدث عادة عندما يكون المرء سعيداً.

وضمها إليه. فضحكت، ودفعته عنها:

توقف عن هذا! كيف سأواجه صاحبة المحل بعد مافعلنا لتونا؟ لابد أنه مكتوب على وجهى.

قولى لها أنك محمومة.. فربما تعيدك إلى المنزل.

وربما ترسلنى إلى المعمل لأنفذ بعض التصاميم ولن يكون لدى وقت لتناول الطعام.

كنت أظن أننى أعطيتك غداءك، ولكن إذا كنت تصرين، سأضع لك سندويتشا.

وخرجت من السرير. وأخذت ثيابها من الخزانة وقالت:

ضع لى بعض الزبدة والجبن.

أتفضلين هذاالغداء عنى؟

واستدارت إليه ورفرفت عيناها.. أوه.. لن أبالغ كثيراً.

ووصلت إلى العمل قبل دقيقتين من فترة مابعد الظهر.. وأحست بالراحة لوجود صاحبة المحل فى فترة الغداء.. وجلست وراء طاولتها تحدق فى الفضاء.. والتر رجل رائع.. طالماحلمت بمثله، وبما إنهما الآن حطما حاجز الود الحميم، فليس هناك كلام بعد الآن عن ذهابه

وتذكرت ما شاهدته من ألم على وجهه، ألم لم يرد أن يتحدث عنه، وعلت التقطبية جبينها.

وبدا بعد الظهر طويلاً.. ووضعت جاكلين الرسومات على طاولة رئيستها، وتمنت لها ليلة سعيدة. فابتسمت لها، وهى التى لم تعرف الكذب فى حياتها وقالت:

عمت مساء آنسة ايفانز.. أنا سعيدة لتحسن صحتك.

وخرجت من المحل لتجد والتر ودوغلاس بانتظارها.

سنوصلك إلى المنزل ثم نذهب إلى التمارين.

وسألت دوغلاس وهم فى الطريق:

كيف كان يومك؟

لقد حصلت على مئة فى الحساب وسبعة وستون فى اللغة.

سيندهش ايربى عندما يرانى مع والتر.. سيكون والتر الحكم بالمباراة.. لقد طلب منه المدرب هذا.

وقاطعه والتر: كنت ألعب هذه اللعبة وأنا صغير:

ووصلت بهم السيارة إلى المنزل فمدت يدها لتفتح الباب:

إستمتع بوقتك دوغلاس.

ومد والتر يده ليلمس كتفها فالتفت إليه:

سأراك فيما بعد.

ولم تكن طوال حياتها قد تمنت لو كان دوغلاس بعيداً، وقالت على مضض: أوكى..

وانطلقت السيارة.. فدخلت المنزل.

فى المطبخ شاهدت يخنة لذيذة تغلى فوق النار، والخضار محضرة، وعلى الطاولة، وفى إناء طويل لزهرة منفردة لم تشاهده من قبل.. وردة حمراء، والفاز كانتحته مغلف، فتحته جاكلين.. وبخط رجولى كتب لها:

«شكرا لك.. لما حدث بيننا هذا الصباح، لقد أثبت رأيك دون شك»

«والتر»

وجلست فى أقرب كرسى، تشم رائحة الوردة وتتساءل: لماذا وهى سعيدة هكذا، تشعر برغبة فى البكاء؟

مشروع أب

عندما عاد والترو ودوغلاس، كانت جاكلين قد نظفت المطبخ وتجلس فى غرفة الجلوس تحبك الصوف. ودخل دوغلاس الغرفة ورمى سترته على أقرب كرسى وشعره مسترسل على جبهته.

لقد لعبنا للتمرين، ووضعنى المدرب فى خط الهجوم وحصلت على هدفين.. وحصل، ايربى على ثلاث عقوبات.. أليس كذلك والتر؟

إثنان للمضايقة وواحد للخشونة.

كانت لعبة عظيمة.. هل ستأخذنى ثانية فى الأسبوع المقبل ياوالتر؟ ستكون فى العطلة الأسبوع القادم.

– أوه.. ياه.. هل ستأتى معنا؟ هل سيأتى ياأمى؟

وفتحت جاكلين فمها دون أن تدرى ما ستقول، فسارع والتر للقول:

لا .. لا أستطيع دوغلاس. وتكدر وجه دوغلاس:

سنذهب للتزلج.. وأنا أكيد متزلج جيد، لماذا لاتأتى؟

وسارعت جاكلين:

– قد تكون أسبابه خاصة يادوغلاس.. لا يجب أن تكثر الإلحاح

وحدق دوغلاس بوالتر:

ولكنك ستكون هنا عندما نعود.. أليس كذلك؟

وركع والتر أمامه، وأمسكه بكتفيه:

لست أدرى، لقد أستأجرتنى أمك لأحرسك بسبب تهديدات جدك، ولكن يبدو إنه لم يكن يعنى ما قاله، ولن أستطيع البقاء أطول من هذا .. فلدى وظيفتى فى لندن.

وتكدرت شفة دوغلاس وكأنه سيبكى:

لماذا لاتتزوج أمى؟ لنبقى عندها معاً؟

وسقطت إحدى صناراتالحياكة من يد جاكلين، وأفلتت

منها ستة قطب.. لقد كانت خائفة أن يتعلق ابنها بوالتر، وهى على حق..

وقال والتر متجهما:

أفهم كم تتمنى ذلك يادوغلاس، ولكننى وأمك لايمكن أن نلتزم هكذا لمجرد أنك تريد.

ألا تعجبك؟

بالطبع تعجبنى. ولكن هناك أكثرمن الإعجاب لنجاح الزواج.

وأخذ دوغلاس يبكى: لا أريدك أن تذهب!

ورمى نفسه بين ذراعى والتر، فترنح والتر وهو يحتضنه.. ووجدت جاكلين نفسها تبكى.. ماذا قال والتر؟ إذا وجدت نفسى سأتعلق بدوغلاس فسأذهب...

ومسح دوغلاس أنفه بعد أن بلل كتف والتر بالدموع وقال:

– أنا ذاهب إلى غرفتى.

وخرج راكضاً من غرفةالجلوس. ووقفت جاكلين:

سأذهب لأرى إذا كان على مايرام.

إتركيه ياجاكلين.. إنه متكدر. ولن تستطيعى التهوين

عليه.. فلا تذهبى.

وسألته بصوت متكسر: ألن تعود بعد الإجازة؟

فرد متجهماً..

بعد ماحدث يجب أن تتوسلى إلى للبقاء بعيداً.

ألن تفكر أبداً بالزواج منى؟

أنت من قلت، لاماضى، ولامستقبل، الحاضر فقط.

فى الصباح، بدا دوغلاس تعباً.. ولم يتحدث سوى القليل إلى والتر. وقبلته جاكلين مودعة وراقبته يتوجه للقاء باص المدرسة الأصفر، وهى تفكر، كيف استطاع والتر أن يخترف دفاعاتها بهذه السرعة؟

لأن دوغلاس يريد أباً.. ولأنها هى مستعدة لأن تقع فى حبه.

وأوصلها والتر إلى محل الأزياء..

سنأخذك أنا ودوغلاس عند السادسة. والتر.. أا..

وصمتت، محبطة، متساءلة ما إذا كانت كل العلاقات الغرامية صعبة هكذا.. وتابعت بتعاسة:

أتمنى لو أعرف ماذا يجرى.

سأفعل جهدى لأن لا أسبب ألم لكما.. أقسم.. وأعدك أن أبقى الليلة معكما.

الليلة.. أجل.. ولكن ماذا عن الغد، واليوم الذى يلى، والذى بعده؟

عند الرابعة، أبلغتها صاحبة العمل أن لها مخابرة:

آلو؟

أنا مارتا ياعزيزتى.. لقد وصل دوغلاس من المدرسة إلى عندنا، ويقول إنه يرغب فى قضاء الليل معنا.. أهناك مانع؟

وعلمت جاكلين فوراً أن دوغلاس لايريد رؤية والتر. فكيف تلومه؟

وقالت لمارتا:

يقول والتر إنه مسافر يوم الإثنين.. وهذه هى المشكلة.

هكذا ظننت. يقول اوليڤر أن هناك طرقاً لتجعليه يغير رأيه.

قولى لأوليڤر أن يخرس.

لا يمكن لوالتر أن يذهب جاكلين.. إنه مناسب جداً لك.

بإمكانه الذهاب معكما إلى مركز التزلج.. ألا يمكن له هذا؟

لقد طلب منه دوغلاس.. ورفض.

أتريدينى أن أكلمه؟ أعنى والتر.

لا يامارتا.. قولى لدوغلاس أن يخبر والتر أين هو. واتصلى بى إذا غير دوغلاس رأيه.

سأفعل.. حظاً سعيداً.. كم هو غبى!

ووضعت السماعة وهى تبتسم ابتسامة هشة لرئيستها.. سيكون لها حوالى أربعة عشر ساعة لوحدها مع والتر لتجعله يغير رأيه ولكن كيف؟

وقال لها والتر بعد أن صعدت سيارته:

دوغلاس سينام عند مارتا. أعلم.. لقد اتصلت بى.

ألا تظنين من الأجدر به أن يأتى رأساً من المدرسة إلى منزله؟

ورفعت رأسها متحدية، عن قصد:

غداً آخر يوم فى المدرسة قبل العطلة.. وإذا كنت لازلت مصمما على السفر يوم الإثنين ما فائدة رؤيته لك؟

وهو صلب المسألة.. أليس كذلك؟ إسمعى، لو أن الأمر يتعلق بنا نحن الإثنين الراشدين لبقيت، ولكن هناك طفل فى السابعة من عمره، طفل يبكى لأجل أب ولايقدر على إخفاء مشاعره.. لو أننا التزمنا ببعضنا ولم ننجح.. صحيح إننا سنتألم ونستطيع تخطى المسألة.. ولكن لا يمكن المخاطرة بمشاعر دوغلاس! لن أفعل!

أهذا بسبب موت أبنك؟

لم أكن أباً كاملاً دائماً.. ومن هو هكذا؟ وبعد موت ولدى لا أستطيع التعويض.. ولكن ما أستطيع فعله أن لا أشوش حياة دوغلاس.

عندما لمست ذراعه أحست بارتجاف جسده، وبسرعة أمسكت بكتفيه وأدارته لها لتشاهد الدموع فى عينيه، فضمته إليها وقلبها يتفطر حزناً عليه.

ووضع رأسه على كتفها، وأحست به ينتفض بالعبرات. أنها قمة المشاعر لرجل سمح لنفسه أن يبكى، ومسحت خدها على شعره وتمتمت:

لو أن الرجال يبكون أكثر.. والنساء يصرخن أكثر..

لشعر الجميع أفضل.

وببطء حرر نفسه وحاول إخفاء دموعه:

ولكن الرجل الحقيقى لايبكى.

والفتيات الرقيقات لايغضبن.

يبدو كل شىء سخيف.. لو لم أبذل جهدى كى أتماسك لدى موت ولدى. لما كنت مجنوناً فى رمى نفسى أمام الرصاص..

أنا سعيدة لنجاتك..

فلنذهب الآن إلى المنزل.

عندما دخلا المنزل وجدت كومة من الرسائل على الطاولة فى الردهة. بينها علبة كبيرة مسطحة، وقال والتر:

إنهـا منى.. شىء كـان عندى فى المنزل وطلبت من مدبرة منزلى إرساله إلى هنا.

أتعنى إنه هدية؟ ماهى؟ سترين بنفسك.

وفتحت العلبة، لتجد فيها قطعة قماش حريرى شرقى (سارى) لونه ما بين الأزرق والتركواز، فأمسكت به إلى جانب جسدها أمام المرآة:

لونه كلون عينى. هل هومن الشرق؟

أجل لقد ابتعته لأن اللون أعجبنى.. وكأننى كنت أتوقع أن ألتقى بك.

إنه رائع.. شكراً لك.

ولاحظت إنه يُطيل التفرس بها فسألته:

تبدو جدياً جداً.. فما الأمر؟

أحاول التكهن بحقيقتك. ماتراه هو كل ماستعرفه.

أنت غامضة.. كاللغز.

لست غـامـضـة.. بل إمـرأة عـادية.. ولست وراء مـالك أومـال أبى. وأنت رجل ذكى، وتعـرف أن ليس كل النسـاء متشابهات.

ولكننى وثقت بزوجـتى، فـقـد تركـتنى وحـصلت على تسوية كبيرة فى المحاكم ثم لامتنى على موت ولدنا.

أنا لست مثلها، ولقد سـئمت الشـعـور بأننى أحـاكم لجرائم لم أرتكبها..

أنا لا أحاكمك! أحاول جهدى أن أثق بك.

ماتحاوله إسمه المخاطرة.. وأنت لاتستطيع المخاطرة بالثقة بى.

أحاول أن أتعلم كيف أثق بك.. أقسم بهذا.. ولكن هذا كله حدث بسرعة وأنا لازلت أعانى من الصدمة.. أنظرى.. أنا بحاجة للذهاب إلى لندن الأسبوع القادم.. ولن إذا أردت.. سأعود.

أجل.. أحب هذا. وشرقت بالدمع.

حبيبتى لا تبكى. أبكى لأننى سعيدة.

ولف ذراعه حول خصرها، وضمها إليه دون أن يتكلما.. وفى دفء عناقه أحست بالسعادة، تشع عليها كالشمس الذهبية.. سوف يعود.. إنه يثق بها.. لقد وعدها.. ولن تضطر أن تقول له أنها تحبه. فأمامها الوقت الكافى لذلك.. وقت لبناء الثقة.. والحب.

لم يكن لدى جاكلين أية فكرة عن الوقت الذى أمضته هى ووالتر ينظران إلى بعضهما وسط الغرفة. ثم قالت له:

لم نتناول العشاء بعد.

إرتدى أجمل ثيابك وسنخرج معاً.

ما رأيك أن أرتدى الحرير الأزرق.

وقد لا أتمكن من إبعاد يدى عنك.

التعبير على وجهه جعل قلبها يتوقف لضربات:

إنه أولموعد رسمى لنا. لقد أصبح واجباً كما أعتقد.

بعد ساعة، وفى غرفة الطعام الرسمية فى أحد فنادق المدينة كانا يحتسيان شراباً ويتناولان طعاماً بحرياً مشوياً بالزبدة والثوم. وكان جاكلين ترتدى ثوبها الصوفى المفضل ذو اللون الوردى.. ووالتر فى سروال وسترة فضفاضة.. وهى تفكر بكيفية قضاءهما الليل معاً.. حميمين ولوحدهما فى المنزل، بطريقة لاتحمل الإثارة فقط بل ماوراءها من عواطف أيضاً.

وتناولا القوة.. وهما خارجان نظرت جاكلين إلى غرفة الطعاموهى تعلم أنها ستتذكرها مدى الحياة وستتذكر كم كانت سعيدة هذه الليلة، وهى متأكدة أن هذه أول ليلة من العديد من الليالى ستقضيها مع والتر.

عندما وصلا المنزل وفتحت جاكلين الباب، واستقبلهما دفء وسكون البيت.. أخذها بين ذراعيه وعانقها بحنان:

أيمكن أن نذهب إلى الفـــراش.. بإمكاننا النوم فوراً .فضحكت وهى تعرفه مايعنيه.

وما الغريب فى هذا .. أيمكنك التفكير؟

أحبك عندما تضحكين هكذا .. ربما يمكن أن نؤخر النوم قليلاً.

والتفتت إلى طاولة الردهة لتشاهد كومة الرسائل، التى لم تكن قد نظرت إليها قبل أن يخرجا، واختفت الإبتسامة عن وجهها عندما شاهدت مغلفاً أنيقاً عليه إسمها وعنوانها مطبوع بعناية.. وقالت بصوت مرتجف:

هذا من والدى.. إنه لايكتب لى أبداً.

إفتحية وانظرى ماذا يقول،

وبدا التردد فى كل حركة من جسدها.

يمكن تأخيره حتى الصباح وقال والتر ببطء:

هل أنت حقاً خائفة منه.. حتى بعد ثمانية سنوات من تركك منزله؟

لقد كنت دائماً أخاف منه. سأقرأه فى الغد.

بل إقرأيه الآن ياجاكلين.

وعلمت أنه على حق، الأفضل أن تقرأه الآن وتنتهى، وفتحته لتخرج الورقة الوحيدة المكتوبة بخط أنيق وبدأت تقرأ، وقطبت جبينها، ثم أعادت قراءته، ثم مرة أخرى، محاولة فهم مافيه، وقالت:

ليس لدى أدنى فكرة عما يتكلم عنه.. إنه يقول كم هو سعيد لأننى قبلت منه المال، ويريدنى أن أتصل به لإجراء الترتيبات التى اتفقنا عليها حول دوغلاس.. أى مال؟ وأى اتفاق؟

هل لى أن أرى الرسالة؟

ومررت له الرسالة على مضض، وعيناها تنظران فى وجهه وهو يقرأها.. ويبدوه كرجل بوليس حقيقى!

هل أخذت مالاً منه؟

لا.. بالطبع لا. لست أفهم ماذا يعنى.

إنه يبدو واثقاً أنك أخذت مالاً.

وصاحت به حانقة:

هل أنا قيد الإستجواب ثانية ياوالتر؟

ألم يكن هناك رسالة من المصرف بين الرسائل؟ لماذا لاتتفحصيها؟

والتر.. أنا لم آخذ مالاً من والدى!

أنا لا أقول أنك أخذت. ولكننى أريد معرفة الحقيقة.. أنظرى إلى رسالة البنك.

وفتحت كشف حساب البنك، وأحست بنفس الرعب الذى أحسته عندما قرأت رسالة أبيها، فبدلاً من أن يكون رصيدها ألف جنيه.. كان واحداً وخمسين ألف جنيه.

ولم تكن فى حياتها قد امتلكت مثل هذا المبلغ.

منذ أسبوع أودع مبلغ خمسين ألف جنيه فى حسابها.

وخطف منها كشف الحساب:

منذ أسبوع.. أى بعد أسبوع من وصولى إلى هنا.

يمكن لشخص آخر أن يودع المبلغ.

عليهم معرفة رقم حسابك أولاً. وأنت الوحيدة التى تعرفه.

ربمايكون تشارلز قد عبث بحقيبتى فى المدرسة.

ربما. أنت لاتصدقنى.. أليس كذلك؟

إنه السيناريو الذى رواه تشارلز لى.. الأبنة لاتسمح للجد أن يرى حفيده قبل قبض المال.

ولقد وصل المبلغ الآن.

وهذا يفسر عدم ظهور تشارلز. ولماذا لم تتم عملية الخطف الذى كنت خائفة منها..

أهذا هو الظاهر؟

المال هنا.. وهذاواقع.! والدك أعطاك خمسين ألف جنيه ويتوقع الآن رؤية حفيده.. وهذا واقع.. أنا أتعامل مع الوقائع جاكلين.

فصاحت به بحدة:

أجل.. أنت تفعل هذا.. وهذا كل ماتعرفه أليس كذلك ياوالتر؟

أنت غارق بالوقائع، مدفون حياً بها! وخسرت أى اتصال مع أى شىء غيرها. العواطف الحقة، المشاركة الثقة.. و.. ولكن الوقائع لاتكذب!

والنساء تكذب.. ألا تظن أننى قد أتمسك بالحصول على أكثرمن خمسين ألف جنيه؟ والدى، كوالدك، رجل

ثرى جداً.

خمسين ألفاً مبلغ كبير بالنسبة لك الآن.. وليس بإمكانى قراءة أفكارك فكيف لى أن أعرف؟

وفجأة بدأت جاكلين تغوص فى إجهاد عميق بدا لها كأنه سكرات الموت، وترنحت مستندة إلى الحائط. ووجهها أبيض من الورقة التى لازال والتر يحملها.. وقالت:

إذا كنت تصدق أننى قادرة على أخذ المال من والدى، ولاستخدام دوغلاس كطعم.. إذن لقد انتهينا.. انتهينا حتى قبل أن نبدأ.

ماكان يجب أن نبدأ أصلاً.

كلماته كانت ضربة مميتة.. أبعد من أن تجعلها تبكى، وبالتأكيد أبعد من أن تتوسل لشرح الحقيقة.. وراقبته وهويضع الرسالة وكشف الحساب على الطاولة.. لا شىء دون مقابل.. يجب دفع ثمن كل شىء.

وعلمت أنها فى وقت، فى المستقبل، ستدفع ثمن السعادة التى أحست بها هذه الليلة بألم يفوق أى شىء اختبرته وسمعته يقول:

سوف أحزم أغراضى.. وأخرج من هنا.

واستدار على عقبيه وذهب إلى غرفة الجلوس، وبعد لحظات سمعت صوت سحاب الحقيبة وصوت الثياب ترمى فى داخلها.. من الأفضل أن يذهب، فلن تستطيع تحمل قضاءه الليل فى المنزل فى وقت تغربا عن بعضهما هكذا.

وبعد دقائق خرج إلى الردهة يحمل حقيبته وسترته الجلدية. فقالت له بصوت أجش:

ماذا سأقول لدوغلاس؟

سأزوره لبضع دقائق غداً بعد المدرسة لأودعه.

سأعمل غداً، لذا سوف يكون عند مارتا حتى السادسة.

سأذهب إذن عند مارتا. الوداع الآن، فلن أراك غداً.

ولماذا الوداع..؟ إذهب فقط!

فأحنى رأسه وداعاً، وقطع الردهة بخطوات سريعة، خرج. وبتنهيدة أسى.. ركضت صاعدةالسلم إلى غرفة دوغلاس ورمت نفسهاعلى سريره.. لن تستطيع النوم فى غرفتها. فقد ذهب والتر.. ولن يعود.

فى السادسة والنصف من المساء التالى.. ذهبت لتأخذ ابنها من عند مارتا.. ورفضت دعوتهما لقضاء الليل عندهما.. وطلبت استعارة أحد كلبيهما للحراسة.. وعند الساعة التاسعة غادرت مع دوغلاس إلى منزلها واحد الكلبين معها، ولاحظت مدى تأثير وجود الكلب على نفسية الصبى.. ووافقت أن ينام الكلب فى غرفة دوغلاس، ولكنها لم تندهش أبداً عندما صعدت إلى غرفته بعد ساعة، لتجده والكلب يغضان بالنوم فى السرير.

تلك الليلة نامت فى غرفتها.. فلا خيار آخر. وتمكنت، عبر العمل الشاق فى مجال الأزياء، وفى غرفة المشتل أن تبقى أسوأ الأنفعالات مكبوتة، قبل أن يحل موعد رحلة التزلج.

فى اليوم التالى لمغادرة والتر، كتبت جاكلين إلى والدها شيكا بخمسين ألف جنيه، وأرسلته بالبريد المضمون.. ولم تتلق أى رد.. ولم يظهرتشارلز أبداً.

وتمتعت جاكلين ودوغلاس برحلتهما إلى التزلج أكثر مما توقعت وكانت متزلجة بارعة، ومررت الحماس للتزلج إلى ابنها، وأمضيا الأيام فى التلال العالية، يهبطان

المنحدرات فى الهواء البارد المنعش الذى أفادهما كليهما. وعندما كانت تصل مساء إلى الشاليه كانت تنام على الفور دون التفكير بوالتر.. وعندما عادا إلى المنزل كان وجهها قد تلون بلون الشمس، حتى أن مارتا صاحت بهما:

تبدوان رائعان!

وبعد أن دخلت المنزل، بعد غياب سبعة أيام، سرها أن تسمع حديث دوغلاس ولعب الكلب معها، فقد صدمتها ذكرى والتر حال أن أصبحت فى الداخل.

تلك الليلة وبعد ذهاب دوغلاس مع الكلب إلى النوم، أخرجت العلبة التى تحوى السارى الشرقى الحريرى الأزرق، الذى أهداها رياه والتر، وتعرت من ثيابها، ولفته حول جسدها ونظرت إلى نفسها فى المرآة.. هكذا كانيجب أن يراها والتر.. وتساءلت، هل تكتب له على العنوان المكتوب على طرف العلبة، أم تتصل به على الرقم الذى أعطاها إياه أوليفر.

ولكن والتر لايصدقها، ولايؤمن بصدقها. ولايثق بها..

فما الفائدة من الإتصال به؟

غياب وشوق

بكت جاكلين تلك الليلة حتى نامت.. لأول مرة منذ غياب والتر.

يوم السبت التالى.. نزلت إلى السوق مع دوغلاس.. واشترت ضمن ما اشترته، خيطان زرقاء ولوازم فستان.. مصممة أن تخيط (السارى) الحريرى الأزرق قفطاناً لها.

واستمر الكلب فى النوم كل ليلة مع دوغلاس. مع أن تهديد حضور تشارلز قد انخفض كثيراً، وبمرور كل يوم أخذت تميل إلى الإعتقاد بأنها بالغت فى مخاوفها من أبيها، كما كان يقول والتر دائماً.

وهكذا عندما ذهبت يوم الخميس، يوم عطلتها من محل الأزياء، لتأخذ دوغلاس من المدرسة عندالثالثة

والنصف، لم تقلق فوراً لعدم ظهوره.. لابد إنه يراجع مواعيد رياضته. ولوحت لأثنين من رفاقه فى الفريق الرياضى.

وانطلق أول باص.. وصرخت لأثنين من رفاقه:

كايت.. بيت.. هل شاهدتما دوغلاس؟

وسارع بيت ليقف أمامها ونظر إليها فى السيارة وهى مرتبكة:

ولكنك أخذتيه عند الظهر.. عند طبيب الأسنان.

وتلاشت ابتسامتها عن شفتيها:

لا.. لم أفعل. ألم يكن فى المدرسة بعد الظهر؟

لا.. لقد استلمت المعلمة مذكرة بأنه ذهب إلى طبيب الأسنان وبعد الغداء رأينا سيارتك فى الشارع وخرج دوغلاس.

سيارتى.. ولكننى كنت فى البيت طوال النهار.

حسناً.. لقد بدت تشبه سيارتك.. نفس النوع وقديمة. ربما يكون ذهب فى الباص المبكر.. ربما يكون عندنا.

سأقابل المعلمة حول المذكرة. شكراً بيت، سأراك لاحقاً.

وأجبرت نفسها أن تبعد الذعر عنها. فسارعت عبر

فناء المدرسة ثم سعدت السلم، وما أن فتحتالباب حتى تذكرت رائحة جو المدرسة مماثلة فى واد يبعد آلاف الأميال.. وركضت فى الردهة.. وبحثت المعلمة بين أوراقها وقالت بقلق:

نحن يصلنا الكثير من هذه الأوراق طوال الوقت.. أرجو أن لا أكون قد ارتكبت خطئاً.

المذكرة كانت تنص على السماح لدوغلاس بالخروج لموعد مسبق مع طبيب الأسنان عند الحادية عشرة والنصف والأمضاء «جاكلين ايڤانز» الخط لم يكن خطها ولاخط والدها. وقالت جاكلين وهى مخدرة الأحاسيس.

لا.. لم ترتكبى أى خطأ.. شكراً لك.

وأسرعت إلى سيارتها عائدة إلى المنزل. ولم يكن دوغلاس هناك. ولم تتوقف الباص الذى تقله عادة لتنزله. وذهبت إلى منزل مارتا. وقلبها يخفق، وكأنها عصفور خائف. وكانت عيناها متسعتان من الرعب عندما دخلت من الباب الخلفى إلى المطبخ.. فصاحت بهامارتا:

جاكلين.! مابك.؟ هل دوغلاس هنا؟

لا.. هل كان يجب أن يجيء إلى هنا؟

فانهارت جاكلين على أقرب كرسى، وقالت بصوت مرتجف:

أظن أن أبى أخذه.

ونظفت مارتا يدها من طحين الفطيرة التى كان تعدها ونادت لأوليڤر. وبإرتجاف وذعر أعادت جاكلين ماحدث. وتابعت بعجز:

لقد توقفت عن القلق.. أوه يا مارتا.. ماذا فعلوا به؟ كيف أصعدوه فى السيارة؟ لا يمكن أن يصعد بإرادته.. أعرف ذلك.. ربما آذوه.. سيفزع كثيراً.

وصاح أوليڤر:

الأفضل أن نتصل بالبوليس على الفور.. والدك لن ينجو بفعلته هذه.

وصاحت والفزع يملأ عينيها الزرقاوين:

سوف يأخذنى إلى المحكمة لأجل الحضانة. سيثبت أننى أم غير صالحة.

سوف نقف فى وجهه ونكذبه. أتظنى أنك لم تؤثرى

على المجتمع هنا خلال إقامتك؟ أتظنى أن الناس لم يلاحظوا كيف تربين دوغلاس وتهتمين به.؟ قد يكون لوالدك المال إلى جانبه، ولكنه لايملك الحقيقة!

وأحست بالقوة تعاودها لكلمات أوليفر ولرنة صوته العميقة المؤثرة ومعها بدأ الغضب يتصاعد.

كنت دائماً أخاف من أبى.. منذ كنت صغيرة. وعندما كان يصرخ ويرعد كنت أختبىء فى خزانة المكانس حتى لا يجدنى.. وشاهدته مرتين يضرب والدتى.

وأخذت ترتجف، وهى تتذكر الفتاةالصغيرة المذعورة المتكورة فى ظلام الخزانة.. فغضب والدها كان كالرعد، ومشتعلاً كالصاعقة.

ولكن هذامضى عليه زمن طويل.. أليس كذلك؟ ما كان عليه أن يأخذ ابنى.. إنه عمل شنيع.. سأتصل به فى الحال لأطالبه بإعادة دوغلاس.

عندما سمعت صوت اليوت بنتلى على الهاتف، كان أضعف مما تذكره.. ولكن على الفور، تسرب الخوف القديم زاحفاً إلى كل أعضائها عندما تكلم.. وقال:

آه.. أجل.. لقد توقعت أن تتصلى. دوغلاس سيصل قريباً. لن أمنعك عنه تماماً.. فهذا غباء. ولكن لا تحاولى إستعادته. هل سمعتى؟

وفكرت بما قاله أوليڤر، وبما حثها على فعله والتر، وتذكرت غضبها منذ لحظات وقالت:

بالطبع سأستعيده.. فأنا أمه، وهو..

لقد علمت أن رجلاً التقيته على الطريق قد أمضى بضع ليال فى فراشك ياعزيزتى.. وهذا ليس النوع المطلوب من الأخلاق لطفل فى السابعة من عمره ليعيش فى وسطه. وأنا واثق أن أى محكمة فى البلاد ستوافق على هذا. فلاتثيرينى كثيراً ياجاكلين.. أريد دوغلاس وسأقاتل لأحتفظ به.

وارتجفت ساقاها، فكرهت نفسها على هذا الضعف، وقالت:

وسأقاتلك! ولن تنجو بفعلتك هذه فالخطف جريمة خطيرة.. سأتصل فيما بعد لأكلم دوغلاس..

وأعادت السماعة مكانها دون وداعه، وأحست بالبرودة التى غلفت أصابعها المرتجفة. وكان أوليڤر يستمع:

هذا جيد منك! والآن سنتصل بالشرطة...

فقاطعته مارتا:

لدى فكرة أفضل.. لماذا لانتصل بوالتر؟

فصاح زوجها:

مارتا.. أنت نابغة.. لقد كتبنا رقمه على مؤخرة دفتر التليفونات أليس كذلك؟

فقالت جاكلين وهى تصر بأسنانها:

لن تتصلوا به.

بل سنبدأ بالإتصال به.

وحشر جسده الضخم بين جاكلين وبين الهاتف..

والتر؟ أنا أوليڤر برادشو. والد جاكلين خطف دوغلاس بعد ظهر اليوم. فكيف نستطيع العمل على استعادته؟

ومرت خمس ثوان من الصمت، سمعت خلالها جاكلين صوت على الهاتف.. وقال أوليڤر:

هذا جيد.. إنها هنا.

وأعطاها السماعة: يريد أن يكلمك.

وتمتمت على السماعة: آلوا..

فقال لها بشراسة:

ســأســتــعــيــد دوغــلاس لك، لاتقلقى أتســمــعــين؟ ستستعيدينه قبل هبوط الليل.

لهجة صوته قطعت كل مخاوفها على ابنها. وكأنه يقف معها فى الغرفة. وحاولت التفكير برد معقول، ففشلت، وسمعته يصيح:

جاكلين ألا زلت معى؟

فقالت هامسة وهى ترتجف:

أجل.. ولكنه سيكون مفزوعاً.. وأناخائفة من أن يؤذوه.

– إذا آذوه.. فسيضطرون إلى مواجهتى.. جاكلين أرجوك.. توقفى عن القلق! دوغلاس يعرفنى، ولن يخاف من الخروج معى.. سأطير إلى نيوكاسل، وسأصل إلى سندرلاند، وسأحضره معى عند وقت نومه تماماً.. أو منتصف الليل.

ورأت أن تحذره مما قد يسمعه من والدها، فقالت:

والدى يعرف بأمرى وأمرك.. وأن بيننا علاقة، ولقد هددنى باستخدام ذلك ضدى والتر.

لن يجرؤ.. ليس معى.. أنا أكثر من ند لوالدك.. كونى فى مطار لندن عند التاسعة هذا المساء، وسنصل إلى هناك.

ثم تغيرت لهجة صوته، أصبحت ناعمة حتى أنها أحستها مغلفة بنوع من الدفء والألم.

لا تخافى جاكلين.. لقد أفسدت لك كل حياتك منذ التقيتك.. ولكننى أقسم أن لا أخذلك بعد الآن. فليأخذك أوليڤر إلى لندن، وسأعيدك إلى المنزل بنفسى.. إرفعى رأسك وابتسمى.

وسمعت صوت إقفال السماعة.. فوضعتها من يدها وسمعت صدى صوته فى أذنها: لقد أفسدت كل شىء فى حياتك... وقال أوليڤر:

رجل أعمال.. سيحصل على طائرة خاصة وكل ما يلزم.

طائرة خاصة؟

– ألم يقل لك؟ ابن عـمـه الأقـرب يملك أسطولاً من الطائرات.. وسيطير والتر بواحدة منها، وربما يصل إلى نيوكاسل قبل أن يصل دوغلاس.

أوليڤر.. هذا ليس وقت المزاح!

وربتت مارتا ذراع زوجها:

تحدثها مع والتر كدرها..وضمها أوليڤر إليه:

علاقة حبك هذه ستحولنا جميعاً إلى مجانين.

طالما يبقى لك بعض الوعي لتوصلنى إلى مطار لندن عند التاسعة.

لن يفوتنى هذا، مهما حدث.

والتر قادم يادوغلاس.. لاتخف.. سوف يخرجك والتر من هناك، ولابد أنك ستسعد لأن ينقذك والتر.. ولكن ماذا سيحدث لو أن والتر أوصلهما إلى باب المنزل.. وذهب؟

ولمست مارتا ذراعها بلطف مبتسمة فأجفلت جاكلين:

لقد سألتك مرتين إذا كنت تحبين تناول المزيد من السلطة؟

أوه.. لا.. شكراً.. دوغلاس سيكون بخير.. أليس كذلك؟

لدى كل الإيمان بمقدرة والتر.

ولجاكلين الإيمان والثقة بوالتر.. رجل البوليس.. ولكن إيمانها بوالتر الرجل.. مهزوز. ومن من الإثنين ستلتقى فى مطار هيثرو عند التاسعة من هذا المساء؟

كانت جاكلين وأوليڤر يقفان فى باحة الوصول فى المطار عند الثامنة والنصف، فقد أصرت على الوصول باكراً..

ولم يصل باكراً. فقد حلت الساعة التاسعة، ثم مرت خمس دقائق أخرى، وعشرة وعشرين.. بعدها تلاشت متنفس جاكلين كل الآمال وتملكها خوف وعذاب.. لابد أن شيئاً خاطئاً قد حدث.. ربما لم يسمح لوالتر أن يدخل منزل والدها. أو أنه ألقى القبض عليه لدخوله عنوة، أو أن دوغلاس قد وضع فى مكان غير قصد جده.. وربما أصيب والتر بأذى.. أو أن دوغلاس لايمكن له السفر.

ودار تفكيرها مرات ومرات.. يدور وكأنه حيوان فى قفص، يدير نفس الإمكانيات.. ومع ذلك فهو يخشى أن يفكر بأحداث قد تكون أسوأ من هذه.. الساعة التاسعة وخمس وعشرون دقيقة.. لقد مرت دقيقتان منذ آخر مرة

نظرت إليها.. وصاح أوليڤر. هاهما

وصاحت بصوت كالعويل، وبغباء: أين؟

وشاهدتهما.. يداً بيد.. والتر ودوغلاس.. تحت ضوء لمبات «الفلورسانت» بدا لها دوغلاس شاحباً.. وما أن شاهد أمه حتى ترك يد والتر وركض إليها. وركضت هى كذلك. ولم يتوقفا إلا بعد أن أصبح بين ذراعيها، وكاد وزنه يلقيها إلى الوراء.

دوغلاس ياحبيبى.. هل أنت بخير؟

وكان يمسك بهابقوة محمومة تقول أكثر مما تقوله الكلمات كم هو سعيد لرؤيتها.. وسألته:

هل آذوك ياحبيب.. لقد قلقت عليك! أنا سعيدة لأنك سالم.

لقد وضعوا شيئاً على وجهى.. مثل يوم أجريت عملية الزائدة.. لم يعجبنى ذلك.. لقد ظننتك فى السيارة.. وعندما استيقظت كنت فى منزل جدى. لقد قلبت لهم كل شىء حتى السجادة.

وتقدم منها رجل.. وارتحلت عيناها على طول جسده..

من حذائه النظيف.. إلى جوربة الأزرق، إلى سترته، ثم استقرت على وجهه الأسمر المألوف بعينيه الداكنتين وشعره الأسود.. وهمست: «والتر».

أحد الأشياء التى قلقت حولها منذ الثامنة والنصف هو ماذا ستقول له...

ولكن، بوجوده أمامها.. حلت المشكلة نفسها. ووقفت عن الأرض وذراعيها ملتفتان بشدة حول ولدها، وقالت بكل بساطة:

لن أستطيع شكرك بمافيه الكفاية لمافعلته لى... ولإرجاعك دوغلاس سالماً..

وامتلأت عيناها بالدموع، فشرقتها وأضافت بكل طبيعى:

هل لنا أن نذهب إلى البيت؟ نستطيع التحدث فى الطريق.

ورد عليها بابتسامة متصلبة:

لقد طلبت سيارة مؤجرة.. وعلى أن استلمها.. مرحباً أوليڤر.

عمل رائع.. وهز يده بقوة وكأنها يد «طرمبة» ماء قديمة.

على جيمس بوند أن يراجع أساليبه.

فضحك والتر، على مضض.

بالكاد.. لم أفعل شيئاً في الواقع.. أعذرني. لدقيقة، أرجوك. وسار نحو مكتب السيارات المؤجرة. وقال أوليفر معلقاً:

إنه كتوم.. ابن الكذا.. لقد أتم عملاً رائعاً..

وربت رأس الصبي:

لقد مررت بمغامرة جميلة.. كايت وبيت منتظران لسماع التفاصيل.. هل أنت جائع؟

– لقد تناولنا بعض الطعام في الطائرة، إنها طائرة خاصة يا أمي يجب أن تريها.. فيهامطبخ ومقهى، وحمامين، أحدهما فيه «دوش» ودخلت غرفة القيادة مع الطيار، إنه صديق لوالتر.. كانت رائعة!

تستطيع الآن أن تعترف لنفسها أنها كان خائفة أن يموت دوغلاس كما مات ابن والتر.. وعبر ستار من الدموع رأت والتر يتقدم.. وقال وهو يهز تعليقة مفاتيح في يده.

ما من مشكلة.. السيارة في الخارج.. هل لنا أن نذهب؟

وخرج الأربعة إلى خارج المطار.. وقال أوليفر:

تعال لنراك ياوالتر.. سنسعد لاستضافتك فى أى وقت، وأضيف شكرى لشكر جاكلين.. إنه عمل رائع. وسأتشوق لسماع التفاصيل.

وقبل خد جاكلين ثم اختفى بين صفوف السيارات.. رجل عملاق لا يبدو عليه أن له يداً فنيه خلاّقة أبداً. وتوقف والتر عند سيارة صالون كبيرة.. وأرادت جاكلين أن تكسر الصمت بينهما.. فقالت:

كم هذه السيارة كبيرة.. أنها ضخمة ياوالتر.

لقد فكرت بأنك قد ترغبين بالجلوس مع دوغلاس فى المقعد الأمامى.

هذا لطف كبير منك.. اللعنة.. لماذا أبقى دائما راغبة فى البكاء. وقال دوغلاس ضاحكاً:

لقد بكيت قليلاً.. فعندما استفقت لم أعرف ماذا يجرى.

فابتسمت له أمه: أراهن أنك فعلت.

وجلس دوغلاس فى المقعد الأمامى بينهما.. وانطلقت بهم السيارة. وكان على وشك سؤاله عن بعض التفاصيل

عندما فاجأها بسؤال:

متى ستزورين جدى يا أمى.. زيارة لائقة؟

وسقط فكها السفلى من مكانه. لقد كانت مستعدة لتقبل كراهية دوغلاس لجده بعد أحداث هذا اليوم.. وسألته:

هل تريد هذا؟

- ياه.. كان معتاداً على تجميع بطاقات كرة لقدم عندما كان صغيراً.. لقد قال إنه سيرينى ما لديه..

قل نعم.. وليس «ياه».. لم أتوقع أن تحبه كثيراً بعدما فعل بك اليوم.

بعد أن تقيئت، أصبح كل شىء على مايرام.. لقد أعطتنى السيدة بوندى بعض الأيس كريم، فوقف قريباً منى يراقبنى.. وكأنه لا يعرف ماذا يفعل.. فأخبرته عن فريق كرة القدم الذى أشارك فيه، وكيف أنك تأخذينى إلى المباريات، ثم أرانى منزله.. كل تلك الغرف لوحده..

والسيدة بوندى، هى مدبرة المنزل، والشخص القوى الشكيمة الوحيد الذى تعرفه جاكلين إنه قادر على إصدار الأوامر لوالدها.. وسألته: ومانوع الأيس كريم؟

بالشوكولا والليمون. ولكن جدى قال أن الشوكولا والتوت هى المفضلة لديه.

هل أراد جدك أن تزوره؟

بعدما جاء والتر، وكنا نستعد للمغادرة، قال إنه سيشرفه أن أزوره ثانية وأجلب معى مجموعة بطاقات كرة القدم.. وبإمكانك المجىء معى أيضا يا أمى.. هو قال هذا.. أتعرفين السيدة العجوز هوبكنز التى تسكن قرب منزلنا لوحدها وتحب أن يزورها الأولاد؟ إنه يذكرنى بها.. أنه وحيد نوعاً ما.

من بين كل الكلمات التى قد تختار جاكلين أن تصف فيها والدها، فكلمة «وحيد» قطعاً ليست من بينها.. وقالت له بحذر: يمكن أن نذهب لزيارته دوغلاس.. فى وقت ما.

هذا جيد.. هل لى أن أرى بيت وكايت الليلة؟

وكانت عيناه قد بدأتا تطبقان.. فقالت له:

فى الغد.

ولم يجادلها.. لأنه نام. وطبعت قبلة على رأسه، وقلبها

يخفق بالشكر لله على سلامته.

ونظرت إلى والتر، الذى كان ينظر أمامه، جانب وجهه، سلسلة من الخطوط العظمية البارزة التى لا تشجع على الحديث. فقالت له:

إنه تعب.. فهز رأسه، وتابع صمته..

لا يمكن لها أن تغضب منه.. ليس بعد أن أصبحت مدينة له.. فأضافت بأدب مبالغ فيه:

هل واجهت أى مشاكل؟

ومرت على وجهه إبتسامة باردة:

أبداً. لقد كانت مدبرة المنزل تنظف السجادة عندما دخلت.

أتعنى أنهم أدخلوك دون اعتراض وبعد عشر دقائق خرجت مع دوغلاس؟

لا.. لم تكن بهذه السهولة. فتشارلز كان يستعد لأن يكون شريراً عندما أريته خطأ طرقه. ثم حاول والدك أن يرمى بثقله للتأثير علىَّ فتحدثت معه.. وهكذا تخلى عن أى تفكير يأخذك إلى المحاكم أو تشويه سمعتك.

والتر.. ماذا فعلت بالضبط؟

لا شيء حقاً.. فوالدك سمكة كبيرة في حوض صغير.. ووالدى سمكة كبيرة في المحيط. ويستطيع أن يدمر والدك باتصالين هاتفيين، أو ثلاثة، في الإتجاه المطلوب. وفكرت أن أشير بهذا له.

فقالت جاكلين بسذاجة: أوه.. لابد أن والدك ثرى كبير. ثرى جداً.

إذن لن يحاول والدى خطف دوغلاس ثانية.

أبداً. ولكنك لاتبدو ابن رجل ثرى.

لقد أردت دائماً أن أشق طريقى بنفسى. لا أن أكون معلقاً بأذياله.

وكان في صوته لهجة من لا يريد إكمال الحديث، فأضافت بهدوء:

هذا صحيح.. لقد أخبرتنى أنك تركت منزله وكنت في السادسة عشرة. فكيف أنت مع والدك الآن بعدما كبرت؟

بالنسبة لرجلين قيمهما في الحياة متنافرة، ويتشاركان في ماض عاصف واحد، نحن متفقان جيداً.

كما أتوقع أن يتفق دوغلاس مع جدك.. لو أعطى نصف فرصة.

وأحست بأن هذه ضربة مباشرة، فقالت بحرارة:

إذا كان والدى يشعر بالوحدة فهذه غلطته.

ونظر إليها من فوق رأس دوغلاس، ولم يكن قد نظر إليها كثيراً منذ غادروا المطار. وقال:

هناك شيء أريد أن تفعليه.. أريدك أن تذهبى لرؤية والدك. لوحدك.. لقد آن لكما أن تتخليا عن أشباح الماضى.

إنه ليس شبحاً!

إنه رجل عجوز فقد ولده وفقد معه صلته بالمستقبل.. ولقد أخطأ كثيراً بالتمسك بالمستقبل عبر دوغلاس.. فإذا ذهبت لرؤيته.. وأعنى رؤيته حقيقة.. لن تجدى الكثير لتخافى منه.. ولأجل دوغلاس أن لم يكن لأى سبب آخر.. وأحب أن تذهبى.

ونظرت أمامها مباشرة إلى سواد الطريق، ترفض أن تلزم نفسها: ربما.. سأفعل.

جيد.. سأبقى مع دوغلاس فى الغد.. وسأتصل

بالآنسة.. مهما كان إسمها.. صاحبة محل الأزياء لأقولها لها أنك ذهبت على عجل لأمر عائلى طارىء.

غدا؟.. ماذا تعنى «غداً»؟

طائرتى لا زالت فى المطار.. وبإمكانك الطيـران بهـا إلى نيوكاسل وستكون هناك سيارة بانتظارك لنقلك إلى قصر والدك. وتستطيعين العودة فى نفس اليوم.. الأمر بسيط.

كم لطف منك أن ترتب لى أمور حياتى!

– لن أحاول أن أتدخل بأية طريقة أخرى.. أقسم لك.. جدياً ياجاكلين.. لقد آن لك أن تذهبى، بينما والدك لايزال مـؤدباً وزيارة دوغـلاس له لاتزال عـالقـة فى ذهنه، ولن يكلفك هذا شيئاً.

تحت الشعور بالغضب لشهامة والتر وللأضطراب من فكرة مواجهة والدها، كان يختفى شعور آخر: الأمل. فلو ذهبت إليه فى الغد، فسوف يكون والتر بانتظارها هنا عندما تعود، وعلمت بصدق، إنه على حق. وأنه آن الأوان لمواجهة والدها كإمرأة ناضجة تنوى بناء علاقة من نوع جديد معه، مهما كان ذلك صعبا، لأنها ستكون شاملة دوغلاس.

حسن جداً.. سأذهب.

جيد.. سأتصل بصديقى الطيار الليلة، لأرتب الأمور.

ولم تقل جاكلين شيئاً، فقد أحست وكأن ريحاً عاتية قد اقتلعتها من حيث هى لترميها فى مكان مجهول.. وبعد أميال قليلة، استدار والتر ليتجه نحو منزلها.. ووصلا.. وكان المنزل يغط فى الظلام، إذ أنها لم تفكر بإضاءة أى من الأضواء عند مغادرتها المنزل.. وأطفأ والتر المحرك:

سأحمل دوغلاس إلى غرفته.

وخرجت جاكلين من السيارة وأعصابها متوترة، وتحس بنوع من الإرهاق العاطفى: ولكنها لا تستطيع الإستسلام لهذا الإرهاق، فبطريقة ما يجب أن تخترق تحفظ والتر.. أنها تريده الليلة معها.. تريد أن تنام وهو إلى جانبها، وتستيقظ بين ذراعيه.

كان يجمع جسد دوغلاس المتراخى بين يديه، وتذكرت كيف كانا يسيران معاً، يداً بيد، فى المطار.. وأحست بالغيرة.. فخافت من نفسها، وسارعت إلى المفتاح لتفتح الباب وتدخل إلى الردهة وتضىء الأنوار. وبعد دخول

دوغلاس إلى الحمام مترنحاً ثم خروجه منه مترنحاً، حمله والتر إلى غرفته، وخلعت جاكلين عنه ثيابه وألبسته ثياب النوم، ثم وضعاه معاً فى فراشه. وكانت الغرفة معتمة وعملهما حميم.. وأحست بأعصابها تتوتر حتى نقطة الأنهيار وهى تقبل ابنها، ثم نزلت إلى الطابق الأرضى وهى تعلم أن دوغلاس قد غط فى النوم ثانية حتى قبل أن تترك غرفته وتبعها والتر.

فى القاعة، استدارت لتواجهه، تقف بينه وبين الباب.. والنور من السقف يشع على وجهها وعينيها الزرقاوتين المثيرتين. لون سترتها الزهرى يبرز بياض بشرتها، ووجهها. ووضعت يدهاعلى كم سترته قائلة: والتر؟

أتركينى أستخدم الهاتف.. أيمكن لى هذا؟

وأنزلت يدهاعنه: أنت تعرف أين هو.

وذهب إلى المطبخ، ثم سمعت همهمات صوته العميق.. وطلب رقماً آخر.. فبقيت حيث هى، تشد سترتها من حولها.. فهى تشعر بالبرد، ولا يمكن لغير والتر أن يدفئها.. وراقبته وهو يعود إليها.. قائلا:

تقرير الأحوال الجوية جيد لأربع وعشرين ساعة القادمة.. لذا فصديقى يرغب فى الاقلاع عند العاشرة.. هل هذا توقيت جيد لك؟ ستتمكنى من إرسال دوغلاس إلى المدرسة قبل ذهابك.

فأطرقت برأسها وهى تعمل أنها ستوافق على أى توقيت، فما الفرق؟

عظيم.. سيكون صديقى بانتظارك فى قاعة المغادرة.. إنه شاب قصير.. يرتدى بذة زرقاء.. وسيعلمك كم بإمكانك البقاء مع والدك. فهو يريد العودة إلى لندن قبل المساء.. واتصلت بوالدك لأخبره أنك قادمة.

لن أستطيع التهرب من هذا.. أليس كذلك.

وأحست وكأن عينا والترمحيطان عميقان تبتلعانها إلى ظلمة أعماقها. وقال بخشونة:

حسناً.. على الذهاب الآن.. ولتكن رحلتك موفقة فى الغد.. وأحست بقلبها يخفق بغير ارتياح فى صدرها. فقالت بصوت بدا أنه صادر من مكان بعيد:

– ذاهب؟ ألن تبقى هنا؟

لاحاجة لبقائى.. أنت آمنة الآن.

لم أكن أفكربسلامتى يا والتر.

لقد حجزت هذا الصباح لاقامتى فى فندق قريب من البلدة.

أريدك أن تبقى هنا.. أرجوك والتر.. لقد اشتقت إليك.

ولمحت شيئاً يعترى وجهه، وبسرعة حتى أنها ظنت نفسها تتخيل. وأخفض نظره عنها وهو يقفل سترته وقال ببرود أكثر إيلاماً من الغضب:

إذن.. أنت حمقاء ياجاكلين.

وأخرج مفاتيحه من جيبه، فوقفت دون حراك، وكلماته تحفر بألم فى عقلها المتعب.. حمقاء.. حمقاء.. حمقاء.

ثم تجاوزها، وتلامسا، مما جعل الرجفة تسرى فى جسدها.وراقبته وهو يخرج، وعضلات حنجرتها مشلولة، ومشاعرها مزيج من الغضب والألم والارهاق.. وأغلق الباب خلفه بحدة.

وكأنها طيف التقطته عدسة آلة تصوير، وقفت جامدة.. لقد قالت له ما تريد.. ولكنه لم يستمع إليها..

فمن الواضح أنه لا يرغب بما ترغب به.

لقاء هادئ

الحادية عشرة والنصف من الصباح التالى، كانت جاكلين تدق جرس باب والدها، وكانت أشجار الصنوبر التى تحف بمدخل المنزل تترنح فى الريح الذى كان يهب بارداً.. وفتحت السيدة بوندى الباب بأدب أكثر من الحرارة.. وقالت:

– صباح الخير آنسة بنتلى.. كنا نتوقع قدومك.

ولم تحب جاكلين أن تناديها بالآنسة بنتلى.. لقد قررت وهى تجلس فى مقعدها على الطائرة الخاصة.. أن اليوم يجب أن يكون يوم التغيير. ووالتر سيكون على أول القائمة.. فعندما تعود الليلة.. لن تسمح له بسهولة أن يتجاوزها ويخرج إلى العتمة... كما فعل بالأمس.. وسوف تقاومه، حتى ولو اضطرت لأن تقول له أنها تحبه.. وفى

منزل والدها، وبأقصى ما لديهام ن قدرة، سوف تتصرف على أساس أنها أم تعيل ابنها بدلاً من أن تتصرف انطلاقاً من ضعفها القديم، كابنة خائفة.. مُسيطر عليها. ففى زيارتها الأخيرة هربت من غضب أبيها، ولن تهرب منه اليوم.

وهكذا قالت، وهى تضم أطراف سترتها إلى جسدها.

إننى أستخدم أسم والدتى الآن سيدة بوندى.. أنا الآنسةايفانز.. أرجو أن تكون السجادة قد نظفت تماماً بعد زيارة ولدى يوم أمس.

لقد كان هذاحادثاً مؤسفاً.. على كل لم يترك أى أثر، لقد ساعدنى السيد شيرمان بوصفة رائعة لتنظيفه.

ولم ترتجف إبتسامة جاكلين:

إنه حادث لا ذنب لدوغلاس فيه.

وهزت السيدة بوندى رأسها، فعلى الرغم من أنها إمرأة باردة فقد كانت منصفة أيضاً:

هذا صحيح بالتأكيد.. السيد بنتلى فى غرفة الإستقبال.

ورفعت جاكليت هامتها وأبقت ابتسامتها ثابتة، وفتحت

الباب الزجاجى المرتفع، لتدخل غرفة الإستقبال وتقول:

صباح الخير يا أبى.

ووضع والدها المجلة التى كان يقرأها من يده، ووقف:

جاكلين.. أتحبين القهوة بعد رحلتك.

وسارت عبرالغرفة وكعب حذائها يقرع فوق الخشب الذى يكسو الأرضية، وقبلته على وجنته، ملاحظة بارتياح أنها فاجئته ببرودها:

لا .. شكراً.. لقد تناولت القهوة فى الطائرة.

وجلست بأناقة فى مقعد مخملى، وتابعت:

أظن أنك تمتعت بزيارة دوغلاس يوم أمس؟

وجلست إليوت بنتلى على مقعد قبالتها، ووضع ساقه فوق الأخرى بقليل من العجز.. فأضافت بسرعة:

هل داء المفاصل يزعجك؟

إنه طقس الشتاء الذى يزعجنى.

يجب أن تسافر إلى مكان مشمس لتتمتع بالدفء.

أنا رجل مشغول دائماً يا جاكلين.

فتجاهلت ملاحظته المقصودة وقالت بإصرار:

أنت لم ترد على سؤالى.

وقطب والدها فى وجهها بحاجبيه البيضاوين الكثيفين:

إنه شاب صغير يؤمن فى أن يقول كل ما فى ذهنه.

شكراً لك.. لقد ربيته على هذا.

الأطفال كانوا يراقبون ولا يصغى إليهم فى زمنى.

وربما يكون هذا هو سبب حبس مشاعرك فى داخلك.. الأمرالذى أثر علينا جميعاً.

دعينى أقدم لك شيئا من شراب الكرز.

سيكون هذا رائعاً.

وراقبته ينقل خطاه بتثاقل نحو رف الشراب، ولم تقدم له أية مساعدة عندما لاقى صعوبة فى وضع الأكواب فوق الصينية.. هل كان دائماً غير متزن هكذا؟ أم أنها، وكما قال والتر، لم تشاهده حقيقة وبوضوح من قبل؟

لم ترغب فى التفكير الآن بوالتر، ليس فى وقت هى بحاجة إلى كل شجاعتها وتركيزها معها، وأخذت الكأس من على الصينية الفضية وارتشفت قليلاً من الشراب.

على الرغم من كثرة كلامه.. أتحب أن تراه ثانية؟

لم أكن أتوقع مثل هذا العرض.. بعدما حدث بالأمس.

لقد قال والتر أن ما حدث بالأمس لن يتكرر.

أجل.. لن يتكرر.

وارتشف قليلاً من شرابه.. لم يكن أبداً فى حياته رجلاً معتدلاً، وسألته:

هل أنت آسف لما فعلته؟

وحدقت عيناه الزرقاء فى عينيها:

أنت تريدين الإنتقام.. أليس كذلك؟

وارتجفت فى داخلها.. كما كانت ترتجف دوماً أمام غضبه.. ولكنها ظاهرياً بقيت محافظة على هدوئها، ولم ترد.

واعترف اليوت بنتلى بنفاذ صبر:

ما كان يجب أن أفعل هذا. هذه غلطة منى.. أيرضيك هذا؟ فهزت رأسها، فهى تعرف مدى تأثير هذا الإعتراف عليه، وقالت: وأنا كذلك أخطأت.. كنت خائفة منك منذ مدة ما عدت أذكرها. لذا أبقيت دوغلاس بعيداً...

ولكنك لا تبدين خائفة منى الآن؟

وحدق بها.. فقالت، دون أن تستطيع منع ابتسامتها:

لست خائفة فى الواقع. فقد تغيرت كثير من الأشياء منذ رأيتك آخر مرة. وسأكون سعيدة لأ أراك دوماً، وأن أجيء بدوغلاس معى.. فهو يحب أن يزورك أيضاً.

واهتز الكأس فى يد والدها المرتجفة حتى أنه انكسب من حافيته وسألها: وكيف عرفت؟

لقد قال لى بنفسه.

فاجتاحت وجهه بسمة رضى، وكأنها شمس الشتاء:

إنه يريد أن يرى مجموعة بطاقات كرة القدم التى معى.

وقالت جاكلين بإصرار: لقد أحبك ياأبى.

وهى فى السابعة والعشرين نادراً ما استخدمت هذا الاسم له.

جدى.. أبى.. ماذا يخبىء لى القدر بعد؟ هل أنت واثقة إنه أحبنى؟

فضحكت، ضحكة مرحة حقيقية:

هيا.. أعترف بالحقيقة.. أنت تموت شوقاً لرؤية حفيدك ثانية.

لن أمانع فى رؤيته مرة أخرى. لا.

أنت منافق.. ألن تقدم لى كأساً آخر من شراب الكرز؟

ألن تخافى أن أؤثر على ولدك ليتسلم أعمالى؟ فهذا ما أنويه يا جاكلين.

فردت عليه وهى تختار كلماتها بحذر:

دوغلاس لايزال فى السابعة من عمره. ولكن لديه أفكار محددة حول مايريد وما لايريد وفى الوقت الحاضر يهوى لعبة كرة القدم وبناء الصواريخ للوصول إلى القمر. ولايريد دراسة اللغة. وأظن أنك ستجده أكثرمن شبيه بك يا أبى. ومن يعلم، ربما عندما يكبر سوف يرغب فى تسلم أعمالك؟ ولكن لأنه يريد، وليس لأنك تريد غسل دماغه.

وقطب اليوت فى وجهها: أنت محقة تماماً.

وقالت بدهشة، لسهولة نقاشها معه

أجل.. أنا محقة. إذن، متى ستأتى به.

سأراجع مواعيدى عندما أعود إلى المنزل وفى أول عطلة أسبوع لا عمل لى فيها سنأتى لزيارتك، ربما بعد ثلاثة أسابيع أعدك.

ودفع نفسه عن مقعده، وأخذ منها الكأس، وسار فوق السجادة العجمية الأثرية فى طريقه إلى رف المشروب وصب لها شراب الكرز وهو يقول:

شكراً لك.

عندماعادت جاكلين إلى منزلها فى السابعة والنصف مساء، لم تشاهد سيارة والتر. ودخلت المنزل، وهى تعلم أن المنزل فارغ. وشاهدت مغلفاً أبيض على الطاولة فى الردهة. ففتحته وأخرجت منه ورقة صغيرة، كتب فيها:

«جاكلين.. أرجو أن تكون إعادتى دوغلاس إليك بطريقة ولو صغيرة قد عوضت لك نقص ثقتى بك.. والتر» وأضاف فى الأسفل: «دوغلاس موجود عند مارتا».

وأسرعت إلى الهاتف لتتصل بمارتا، وأجابها أوليڤر. ودون أن تقول من هى قالت:

أوليڤر.. هل والتر عندكم.

أهذا أنت ياجاكلين.؟ لا.. لقد أصر على الذهاب منذ نصف ساعة.

لابد أنهما تقابلا على الطريق ولم تلاحظه فى الظلام. واستندت إلى الحائط تتنهد.. ما فائدة قرارها بالتغيير وهو ليس هنا؟ إنه لم ينتظر حتى لرؤيتها.

جاكلين. ألا زلت على الخط؟ فهمست: أجل.. لا زلت هنا.

سأتى بدوغلاس، وأصل بعد عشر دقائق.

وأخذت كل تحركاتها تصبح آلية، فعلقت معطفها، وخلعت حذائها. ثم دخلت الحمام، وأزالت المكياج عن وجهها.. وعندما رن جرس الباب.. رسمت بسمة على شفتيها وفتحته.. وصاح دوغلاس:

مرحباً أمى.. أنظرى إلى هذا.

وكان ما أعطاها ورقة امتحان باللغة الانكليزية حصل فيها على علامة واحد وسبعين.. فابتسمت وهنأته، واستمعت إلى أحداث يومه المختلفة، وأخبرته عن زيارتها المقترحه لجده. بينما كان أوليڤر يصنع فنجان شاى وضعت دوغلاس فى الفراش، وقرأت له فصلاً من آخر قصة علمية خرافية. ثم نزلت لتواجه أوليڤر.

وكان أوليڤر، الذى يعيش لساعته فقط، قد غط فى النوم على الأريكة، فهزته ليستفيق، فتثائب، وابتسم لها عبر لحيته الكثة.

مارتا وأنا نعتقد أن عليك الذهاب إلى لندن حال أن تحزمى حقيبتك.

ولماذا؟ ليصفق والتر الباب فى وجهى؟

بل لتتكلما بتعقل.. لن يستمع! ولا أنت.

وانهارت على كرسي:

أنا متعبة ياأوليفر، ولا مزاج لي للنقاش.

من دون نقاش. والتر رجل متكبر وكتوم. وهو يعرف جيداً أنه أساء الحكم عليك، ولايستطيع أن يستوعب في ذهنه السميك المتعجرف أنك ربما تسامحينه.. والأمر عائد إليك لاقناعه.. أنت تسامحينه إليس كذلك؟

إذن أنت تقترح عليَّ الذهاب إلى لندن على الفور؟ في أعقابه مباشرة؟

بإمكانك الانتظار حتى الغد.. إنها نهاية الأسبوع، ولا مدرسة. وسنأخذ دوغلاس عندنا.. وسأراقب لك المنزل.

ومسح على شنبه بانتصار.. وفجأة سقط كل قناع ادعاء عن وجه جاكلين. وقالت مرتجفة:

أنا خائفة من الذهاب يا أوليفر. أنا ضعيفة أمامه، وإذا طردني لست واثقة أنني قد أتحمل.

أنا واثق تقريباً إنه لن يفعل. ولكن أظن أن هناك مخاطرة. سأذهب.. غداً.

ولم تشعر بشيء.. مجرد انتظار.. فما تبقى يعتمد على والتر.. فى الصباح التالى كان الثلج يتساقط وهى تتجه بسيارتها نحو لندن. ولن تصل فى مثل هذاالطقس قبل بعد الظهر.. ونظرت إلى السماء بقلق وهى تخرج منا لطريق الفرعية إلى الطريق الدولية المتجهة إلى لندن.

وفتحت الراديو تستمتع إلى آخر نشرات الطقس. وخابت آمالها عندما سمعت المذيع ينصح السائقين بالالتجاء إلى أقرب فندق. ثم سمعت أن رحلات القطارات والباصات والمطارات قد ألغيت بسبب حالة الطقس لقد علقت إذن، وعليها أن تلجأ إلى أقرب موتيل.

ومر الوقت بسرعة، وذهبت إلى النوم باكراً. عندما استفاقت وجدت أن الثلج لايزال يهطل. وسمعت من الراديو أن الثلج لن يتوقف قبل بعد الظهرعلى الأقبل. وبإمكانها فى مثل هذا الطقس السيرعلى الأقدام أسرع من السيارات وتوجهت إلى مطعم الموتيل، حيث تناولت الفطار.

عند الثانية بعد الظهر، توقف الثلج ومات الريح. وتم جرف كل الطرقات.

وعند الثالثة خرجت جاكلين إلى سيارتها لتنطلق فى

طريقها إلى لندن. وما أن وصلت حتى توجهت رأسا إلى عنوان منزل والتر، وكانت الرحلة بطيئة بسبب كتل الثلج والشاحنات العالقة على الطريق. نزلت من السيارة، لتقف على الرصيف تنظر إلى منزله، ثم سارت عبر الممر، الذى جرف عنه الثلج مؤخرا، ودقت جرس الباب وهى تحس بالتوتر الشديد.

ولم يفتح الباب أحد.. ولم تشاهد سيارته العنابية متوقفة أمام المنزل. ودقت الجرس مجدداً.. وعندما لم تلق رداً، أخذت تدق الباب بيدها خشية أن يكون الجرس معطلاً. حتى ولو أن والتر ليس هنا.. ألم يذكر مدبرة منزل مقيمة؟

ولم يرد لا والتر ولا مدبرة المنزل.. وسارت حول المنزل إلى الخلف حيث وجدت بوابة خشبية تقود إلى الحديقة الخلفية والكاراج الذى كان بدوره فارغاً.. إذن.. والتر ليس هنا!

ووجدت مقعداً خشبياً جذاباً داخل الباب، مخبأ بين الشجيرات فنظفته جيداً من الثلج وجلست عليه تفكر.

إنها لاتدرى أين هو والتر. مع أن جرف الثلج عن

المروعن الحديثة الخليفة يدل على إنه لن يتأخر.. وفتحت حقيبتها لتعد ماتبقى معهامن مال.. فاضطرارها لقضاء الليل على الطريق فى موتيل، قد كلفها ما كانت تعتمد عليه لتصرف منه وتعبىء الوقود لسيارتها.. وتساءلت إذا كان ما معها يكفيها لتنزل فى فندق لهذه الليلة ، فهذا أمرمستحيل إلا إذا كان الفندق رخيصاً وقد لا ترغب فى الإقامة به.

وقررت أن تنتظر لساعتين. وأراحت نفسها أكثرعلى المقعد. من حسن حظها أن الطقس لم يعد بارداً كثيراً. والحديقة محمية من الريح. ولو لم يعد والتر إلى المنزل فى التاسعة، ستبحث عن هاتف لتطلب رقم هاتفه باستمرار.

كان يجب عليها أن تخبره بقدومها، ولكنها كانت تخشى أن يرفض مقابلتها، والوصول إلى منزله فجأة كان الرأى الأصوب.

وقرأت قليلاً فى كتاب كان معها إلى أن لم تعد تستطيع الرؤية. فبدأت السير فى الحديقة لتدفىء قدميها.. ولم تكن قد نامت كثيراً خلال الليالى الثلاثة الماضية، فقد عاشت مشدودة الأعصاب منذ اختطاف

دوغلاس، فعادت إلى سيارتها لتفتحها وتضع حقيبتها على المقعد الخلفى ثم تسند رأسها إليها.. بعد ثلاثين دقيقة إذا لم يعد والتر ستغادر عائدة إلى منزلها. وأغمضت عينيها. بحق الله.. جاكلين؟

كانت فوق بحرمتجمد، تسير فوق الثلج بلون التركواز، وكأنها طائرة فى السماء، وأخذ حذائها الجلدى ينزلق فوق الجليد، وقدماها باردتان..

شخص ما هزها بعنف من كتفها وقال لها صوت مرتفع:

جاكلين إستيقظى!

وجلست فى المقعد بذهول، وعيناها مفتوحتان. وللحظات مريعة.. لم تذكر أين هى. ثم حدقت بوجه والتر، على بعد سنتميترات من وجهها.. وقالت دون وعى:

هل عدت إلى المنزل؟

كان يمكن أن تتجمدى وتموتى، ولولم تتركى السيارة فى مكان أستطيع رؤيتها، لما عرفت أنك هنا.

ولم يبدو عليه السرور لرؤيتها، بل بدا غاضباً. ولكنها كانت تحس بالبرد الشديد فلم تهتم. وأنزلت قدميها إلى الأرض وصرخت لألم فى ركبتها فصاح ثانية:

بحق الله! وحملها بين ذراعيه، وتقدم بها متعثراً بالثلج إلى باب المنزل فقالت له:

إنزلني. وأتركك تقعين على وجهك؟ لا تكوني سخيفة!

وفتح الباب بقدمه، ودخل، ثم أقفله بكوعه، وما أن غلفها دفء المنزل، حتى أدركت أنها كانت ترتجف، وغير قادرة على التوقف.

منذ متى وأنت هنا؟ منذحوالى السادسة.

أتعلمين كم الساعة الآن؟ إنها العاشرة والنصف! ومن حسن حظك أننى عدت إلى المنزل باكراً.

مما يبدو عليك، لا أرى نفسى محظوظة.. ما إسمها؟

وتوقف دون حراك عند أسفل السلم:

ڤيكى. ڤيكتور شيرمان. ابن عمى الذى يملك أسطول الطائرات.

ومدت يديها تحت سترته تفتش عن الدفء. وهمست:

ڤيكى.. اسم جميل.

أنت آخر شخص كنت أتوقع أن أجده عند بابى.. ماذا تفعلين هنا؟ إنها المخاطرة.. فلتقم بها، وقالت متلعثمة:

أنا.. هنا.. لأننى.. لأننى أحبك.

ودون وعى منه اشتدت قبضة ذراعيه حولها:

لا أصدقك.. لأجل الله لا تتلاعبى بى... لا أستطيع التحمل!

ولكننى.. فعلاً.. أحبك.. أوه والتر، أحس بالبرد الشديد!

وبقى حيث هو جامداً:

كيف يمكن أن تحبينى؟ عندما كنت بحاجة إلى، أمنت بكلام والدك وبنظرته للأمور بدلاً عن نظرتك. ولم أثق بك.. لأنك إمرأة.

وأخذت تتفرس بقسمات وجهه.. إنه بحاجة لحلاقة ذقنه وعينه غائرتان فى محجريهما. فقال:

تبدو بحالة مريعة. لا تغيرى الموضوع!

أنظر إلى يا والتر.

وبمضض أدار وجهه إليها عيناه كبركتى دم.

ماذا كنت تفعل لنفسك؟

لم أنم طوال ليلة أمس. جاكلين لا يمكن أن تكونى تحبينى.! لقد صدقت والدك... ولم أصدقك.

أعلم هذا .. فأنت تعتقد أن كل النساء متشابهات.. أمك التى هجرت أبيك.. عشيقات أبيك، زوجتك، كل منهن

هربت وهجرتك.

أنت تختلقين الأعذار لى. أنا أحاول أن أتفهمك!

أيعنى هذا أنك قد غفرت لى.

أوليفر اسخدم تعبير الغفران. ومرة أخرى ثبت لها إنه كان يعرف مايقول.. فقالت وهى تحرك أصابع قدميها داخل حذائها لتدفئها:

أجل.. أغفر لك.. وماذا غير الغفران جعلنى أجيء إلى هنا؟

فقال بصوت متهدج: وأنا أحبك أيضاً.

لقد قطعت أميالاً طويلة لتسمع هذه الكلمات. ومع إنه قد تلفظ بها الآن، فإنها لم تشعر بشىء. فركبتاها ترتجفان، وتكاد تقع.

أمرمضحك.. أنك لا تعرف كم تشوقت لسماعك تقول هذه الكلمات.. ولكن بعد أن قلتها، لست متأكدة أننى أصدقك. ربما السبب الوحيد لقولك هذا، هو أننى اقتحمت عليك منزلك. وأنك تعاملنى بأدب.. ما كان علىَّ أن آتى إلى هنا.

أدب؟ الأدب ليس له علاقة بالمرة بما أشعر به تجاهك

الآن.. لقد أحببتك منذ أول لحظة رأيتك فيها وقت العصفة.

لك طريقة غريبة فى إظهار حبك.

فرد عليها بعنف:

لم أكن أريد أن أقع فى حبك.. ولا فى حب أى إنسان.

لماذا لم تنم ليلة أمس يا والتر.

لأننى لم أستطع تحمل الفراغ فى منزلى.. لأننى اشتقت إليك كثيراً.. وظننت أننى سأموت رغبة بك. لأننى علمت أننى تخليت عن شىء ثمين فى حياتى.. وأننى حطمته لدرجة عدم القدرة على إصلاحه. وكل هذا بسبب خوفى من الثقة بك.

وتمنت لو تستطيع إزالة الألم عن وجهه، فقالت:

أكره أن أسمعك تتحدث هكذا.

من بين أحزانى.. قصصت كل شىء على قيك.. وقال لى أننى لا أستحقك، وأننى ساكون ملعوناً إلى الأبد إذا لم أسمع إليك.

للمرة الأولى منذ وصولها ابتسمت: إنه أوليفر آخر.

ولكن الثلج هطل طوال النهار، وعلقت هنا، فتأخرت

رحلتى الى الغد. وهل كنت قادما لرؤيتى حقاً؟

أجل.. وكنت واثقــاً تســعــاً وتســعــين بالمائة أنك ستطردينى عن عتبة منزلك. ولكننى كنت سأحاول.. لأننى.. ولا ألومك إذا لم تصدقى.. أحبك.. أحبك.. أكثر مما أستطيع قوله.

أظن أننى بدأت أصدقك! وباهتمام مفاجىء قال:

أنت بردانة، وتبدين تعبة.. هل ستبقين هنا الليلة؟ بإمكانك النوم فى الغرفة الإضافية إذا...

ألا ترغب فى أن أنام معك؟ بالطبع أرغب!

العاطفة التى برزت فى صوته جعلت قلب جاكلين يدق بسرعة أكبر، وقالت:

هذا جيد.. فأنا لا أريد النوم فى الغرفة الإضافية. ولا أستطيع تحمل مصاريف الذهاب إلى فندق. ولا أنام عادة فى الطريق داخل سيارة معرضة للتجلد.

أتعنى أنك لاتملكين أى مال؟

وحملها ثانية، وصعد بها السلم.. فقالت:

لدى أربعون جنيهاً فقط.

وهل كان لديك خيار آخر سوى التجمد فى سيارتك على باب دارى؟

كنت سأذهب إلى المطار لأنام على مقعد هناك.

فقال وهو يدفع باب الحمام بقدمه:

لابد أنك تحبينى كثيراً.. ستشرحى لى ذلك فيما بعد، سأدير لك المياه الساخنة، وأجلب لك بعض الملابس الدافئة.. هل أنت جائعة.

وعادت إلى والتر طبيعته.. ولم يعد ذلك الرجل الذى لفته كل الشياطين فى الجحيم، فابتسمت له، ولم تعد أسنانها تصطك ووالتر قال لها مرتين إنه يحبها:

لقد تناولت شندويشاً فى مطعم الموتيل على الطريق حيث قضيت ليلة أمس...

لدى بعض الحساء... سأسخنخ لك.

ومرر لهامن وراء الباب روباً من الصوف، فقالت:

إذا كنا سنمضى الليل معاً.. أصر على أن تحلق ذقنك.

وهل بدأت منذ الآن بإصدار الأوامر.. هه؟ أحبك كثيراً ياجاكلين.. بكل كيانى.. أحبك.

فاهتزت روحها لكلامه، وأحست بالدمع يشق طريقه عبر جفنيها وهمست وهى تعلم أن كلماتها البسيطة هى كالقسم:

أحبك أنا أيضاً.

إذن ستكون على خيرمايرام معاً.. أليس كذلك؟ خذى وقتك فى الحمام.. سأنتظرك فى الأسفل.

منظرها فى المرآة كان لأمرأة قد أعطيت هدية جميلة أكثر من أن تصدق.

وغاصمت فى الماء الدافىء.. ثم جففت جسدها واستخدمت البودرة الرجالية.. والتفت بالروب الصوفى الأخضر الداكن..، ونزلت إلى الطابق السفلى وتوجهت إلى المطبخ الذى كان من الطراز العصرى الحديث المتفوق، بكل وسائله الحديثة المريحة.. وقال لها والتر:

ـ أحب كل ما هو حديث.. فالآلات تشكل نصف متعة المطبخ. إجلسى هنا.. هل تشعرين بالدفء؟

وأشار إلى قصعة من حساء الكراث. والبطاطا. وقطع من الخبز السميك.. وبعد دقائق أطلقت تنهيدة اكتفاء.

لقد كان هذا رائع.. لقد أنقذت حياتى.

فى أى وقت.. متى غادرت المنزل ياجاكلين؟

لم يخطر ببالى أننى قد اضطر للنوم فى الطريق.

- يبدو أن العواصف الثلجية تلاحقنا.. أليس كذلك؟ لماذا لم تتصلى بى تعلمينى بقدومك؟

ظننت أنك قد ترفض إستقبالى. أكنت ستفعل ياوالتر؟

مساء الجمعة، ربما.. كنت خجلاً جداً من الطريقة التى تصرفت بها معك. لقد تسببت بتخفيف مخاوفك مناختطاف دوغلاس، ثم اتهمتك بإبتزاز المال من والداك.. وفى كل الحالات كنت مخطئاً. فكيف لى أن أعوضك عن كل هذا؟ ألا حل هذا لم تنم ليلة الجمعة؟

بحلول مساء السبت علمت أننى لن أنعم براحة البال أبداً لو لم أحاول على الأقل أن أصلح بعض ما أفسدته. أقسم لك أننى سأثق بك من الآن وصاعداً. أنا أقول أننا قد لا نتنشاجر.. وسأندهش إذا لم نتشاجر. ولكننى أعدك أن لا أتذكر كل الماضى خلال الشجار.

أعدك بنفس الشيء يا والتر.. فالزيارة التى قمت بها لوالدى كان ناجحة.

وساد صمت قصير مشحون، فقد نفذ الكلام من كليهما.

هل أتقدم بطلب يدك فى المطبخ أولاً؟

أنا راغبة بك منذ زمن طويل.. فبأمكانك أن تطلبنى فى أى مكان وزمان.

هل تتزوجينى ياجاكلين.. أرجوك.

أوه.. أجل.. سأتزوجك، سأتزوجك لأننى أحبك.. وسأتزوجك لأجل دوغلاس، فهو سيتقبلك كوالده، أنا واثقة.

ربما ستكون وظيفتى ثابتة هنا فى لندن.. وعليك أن تبتعدى عن مارتا وأوليڤر. وعلى دوغلاس أن يترك كل أصدقاءه.

ولكنه سيكسب أباً.. ومع أننى سأشتاق لمارتا وأوليڤر، فبأمكانى تبادل الزيارة معهما.. ألا يمكن أن نسكن فى الريف؟

بالطبع.. سنشترى مزرعة.

أفهم أن دوغلاس لن يحل أبداً مكان ابنك.. ولكننى أعرف أنك سوف تحبه وكأنه ابنك بالفعل.

سأفعل.. أعدك.

ووقفت قربه.. وقالت:

سمعتك تذكر شيئا عن النوم.. ألم تفعل؟

لقد لاقيت صعوبة كبيرة بإبقاء يداى بعيدتان عنك منذ رأيتك فى السيارة نائمة.

– والآن لم تعد بحاجة لكبح نفسك.

وتردد لحظات. هل صدقت أننى أحبك؟

وارتمت بين ذراعيه وعانقته هامسة: أصدقك!

أشعر وكأننى خرجت من السجن لأقول هذه الكلمات لك.. ولكى أرى اللمعان فى عينيك عندما أقولها، ولكن أفضل أن تنامى لوحدك حتى الغد، لأرتب موعد زفافنا.

وحملها عن الأرض وقال:

لقد مرت عليك ثلاثة أيام صعبة.. وأنت متعبة جداً!

وتراقص الأنزعاج فى عينيها:

متعبة.. أجل. ولكننى مقتنعة أن بأمكانك إقناعى أكثر بأنك تحبنى يا والتر.

ولم يكن من الصعب عليه أن يقنعها.